النية والإخلاص

الإمام الخميني

دار المحجة البيضاء

النية والإخلاص

النيّة والإخلاص

الإمام الخميني قدّه

دار المحجّة البيضاء

دار الرسول الأكرم «ص»

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م



حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

المقدمة

كتاب الأربعين من جملة الآثار الخطية للعلّامة الكبير ، الفقيه الأكبر والأستاذ الأعظم ، والقائد الجليل للثورة الإسلامية الإمام الخميني (مد ظله)[1] والذي كسائر الآثار بقين لحد الآن مورداً للتوجه في الخفاء ومن جملة الكتب التي دونت في باب الحديث وهو يشتمل على جوانب واسعة من المعارف الإسلامية بشكل لا مثيل له في موضوعه .

هذا الكتاب يحتوي على مطالب في حدود دائرة معارف حديثية جامعة ، إذ يشتمل على مجموعة من المعارف في أبواب معرفة الله والتوحيد ، ومعرفة النبوة والمسلك ومعرفة الإمامة والمعاد كما معرفة الإنسان والأحكام وأمثال ذلك . لكن مطالبه على الأكثر فيها جنبة عرفانية وفي نفس الوقت فهو مليء بنكات جليلة فقهية وأخلاقية وفلسفية وفي سائر العلوم الإسلامية الأخرى .

وكما يظهر من بعض مطالب الكتاب فإن تاريخ كتابته يعود إلى حدود خمسين سنة قبل أي للخمسينات من القرن الرابع عشر الهجري قمري .

---

(١) يقول المؤلف (مد ظله) حيث أن الكتاب أُلف في زمن حياة الإمام (ره) .

يجب الاعتناء بالجوانب العملية القيمة والمتينة لهذا الكتاب بالخصوص في مجال علم الحديث ـ الذي هو أيضاً من منابع علم الفقه ـ وإن كان قد اشتهر لعنوان الأحاديث الأخلاقية لكن الأخلاق أيضاً قسم من الفقه ـ كما قد بيّنا في دروس البحث الخارج من الفقه عند شرح المسألة الأولى من العروة الوثقى وتحرير الوسيلة من باب التقليد والاجتهاد ضمن تقسيم مسائل الفقه فليراجع ـ فهذه الدعوى ـ من أن الأحاديث المذكورة أخلاقية وليس لها أدنى قيمة فقهية ـ غير صحيحة ويجب العزوف عنها .

فمع التوجه لهذا الموضوع وما له من أثر في بناء النفوس المستعدة كان هذا الكتاب محوراً للتدريس ، أبرزت خلاله بعض المطالب بعنوان الشرح والتفسير للمتن ودوّنت ونظّمت بواسطة بعض الأصدقاء المشاركين في هذه الدروس فخرجت بصورة تقريرٍ لمباحث حول أقسام من المتن .

بدواً بسبب الإحساس الموجود ، من لزوم كون هذه المطالب أكثر كمالاً وجامعية ، لم نكن بانين على نشرها ، لكن نظراً لطلب بعض الأصدقاء ذلك بالإضافة إلى الأرضية التي تهيؤها هذه المطالب من أجل استيعاب وفهم سائر آثار قائد الثورة العظيم ونتيجته من علو النفوس ورقيّها ، فقد قررنا أن نطبع وننشر حالياً هذه المجموعة على أمل تكميلها وتتميمها في المستقبل إنشاء الله تعالى .

في هذه المقدمة نلفت نظر المحققين المحترمين والقراء الأعزاء إلى النكات التالية :

١ ـ الآثار والرسائل التي دونها العلامة الكبير والقائد العظيم للثورة الإسلامية قبل هذا في زمان شبابه ـ والتي بقي بعضها موجوداً بينما تلف الآخر أثناء هجوم سافاك النظام الشاهنشاهي الظالم على منزله وفي بعض حوادث أخرى ـ هي إجمالاً من الأمور الخاصة والتي تستحق الإلتفات وقد ألفت بشكل أساسي حول المعارف النظرية والعملية الإسلامية المفيدة والمرشدة للباحثين في طريق تهذيب النفس والسلوك إلى الله .

٢ ـ السبب في أن الفقهـاء والعلمـاء والمسلمين في طـول التـاريـخ الإسلامي عملوا على تأليف أو تدريس مجموعة مشتملة على أربـعين حـديثاً بعنوان «الأربعين» هو رموز ومعان لها في الأغلب منشأ حـديثي بل قـرآني وقد ذكرت في المقدمة وضمن شرح الحديث الأول من الأربعين فيستطيـع الراغب أن يرجع إلى ذلك الكتاب .

٣ ـ هدف اختيار هذه المجموعة كمتن للدرس :

بحسب العـادة ففي مختلف مجـالات العلوم الإسـلامية ينتخب بعض الكتب كمتن للدرس مما يكون جامعاً بالنظر لمحتـواه وفي نفس الوقت مـوجزاً مختصراً ومعبراً على سبيل المثال هذه الخصائص موجودة في كتب فقهيـة مثل شرائع الإسـلام ، القواعـد ، العروة الـوثقى وتحريـر الوسيلة ولـذا كانت هـذه الكتب وفي الأعصـار المختلفـة ـ كمتن درسي للطلاب ـ محـوراً للمـطالعـة والتحقيق والتدريس ولازالت .

في بـاب علم الحديث ، كنـا في صدد إصـدار كتاب حـاوٍ للخصـائص المـذكورة . إذ أن أهـل التحقيق يعرفـون أن الحديث أيضـاً كالقـرآن له أبعـاد متنوعة وجوانب متعددة وأيضاً في الأحاديث كمـا في القرآن محكم ومتشـابه ، مطلق ومقيد ونظائره كما قالوا عليهم السلام :

«إن في أحاديثنا محكماً كمحكم القرآن و . . . »

وكذلك فالأحاديث أيضاً شاملة وحاوية لمطالب ومسائل عرفـانية وفقهيـة وحكمية وكلامية وإعتقادية ومباحث معرفة الإنسان والمجتمع وأمثال ذلك .

علاوة على هذا كله فـالأحاديث تعـد واحداً من المنـابع العـظيمة للفقـه الإسلامي . فبناء عليه يجب انتخاب كتاب لتدريس علم الحديث يكون حاوياً ومعبراً عن تمام أو أكثر الجوانب والجهـات المذكـورة . بعد الفحص والبحث الـواسع لم نحصـل على كتـاب في هـذا الخصـوص أنسب من كتـاب أربعين الإمام الخميني (مد ظله العالي) لذا جعلنـاه المحور والمبنى في تـدريس علم الحديث ، والحق إنه في موضوعـه دائرة معـارف عظيمـة وهذا المـدعى يثبت

بعد المطالعة والاستيعاب الكامل لمطالبه .

٤ ـ طريقة البحث في هذا الكتاب :

مما يجب قوله أن كثيراً من الحقائق القرآنية والحديثية لا يمكن بيانها في قالب الألفاظ ، والمؤلف الجليل لكتاب الأربعين حديث أيضاً قد بين ما هو قابل للشرح . وقدمه صرح بهذا المعنى قبل تفصيل شرح هذا الحديث ، طبعاً هو قد بيّن ما يمكن بيانه في مقام الألفاظ وأما الحقائق التي لا يمكن بيانها باللسان ولا شرحها بالكتابة بل تحتاج إلى الرشد الإنساني والبلوغ الفكري والروحي . ولأجل إدراك هذه الحقائق يجب على الإنسان أن يطوي مراحل السلوك وينال مرتبة من الرشد والإرتقاء ليتمكن من استيعاب حقائق لا يمكن إخراجها في قالب اللفظ .

في هذا القسم من الكتاب الشريف أي شرح الحديث العشرين يوجد أيضاً مطالب عميقة ومفاهيم عالية مما يمكن الإشارة إليه كنموذج في الموارد الآتية ، فبعد البيان الإجمالي لمعاني لغات الحديث والجمل والارتباط بين الكلمات فالعناوين المرادة هي :

١ ـ معنى الموت .
٢ ـ الموت أمر وجودي .
٣ ـ تعريف الحياة الدنيوية .
٤ ـ معرفة الحياة البرزخية .
٥ ـ تعريف للحياة الملكوتية .
٦ ـ معنى الاختبار والامتحان في عالم الوجود .
٧ ـ مواضع الامتحان في الحياة الإنسانية .
٨ ـ ما المراد من الامتحان الإلهي .
٩ ـ النفوس الإنسانية في بداية الفطرة استعداد محض .
١٠ ـ النفس الإنسانية في بداية الفطرة أرضية للفعليات .
١١ ـ النفوس تأخذ الفعلية بالحركات الجوهرية والاختيارية .

١٢ ـ التمايز بين النفوس يتم بتبديل الاستعدادات إلى فعليات .

١٣ ـ يتحقق امتياز الأشخاص السعداء والأشقياء من طريق الحياة الدنيوية .

١٤ ـ سر الغاية والهدف من خلق الحياة ، تمايز البشر وامتحانهم .

١٥ ـ السعادة والشقاوة تتشخص بالحركات الجوهرية والاختيارية .

١٧ ـ الموت ، ميزان التعين الإنساني في مقام الانتقال للعالم الآخر .

١٨ ـ معيار وميزان الامتيازات هو الصور الملكوتية للإنسان .

١٩ ـ بما أن الامتحان لأجل الامتياز إذا لا جهل فيه .

٢٠ ـ الخشية والصدق هي الصور الباطنية للإنسان .

٢١ ـ قلب وباطن الإنسان يتأثر بالأعمال .

٢٢ ـ امتحان الأعمال امتحان للذاتيات .

٢٣ ـ خلقة الموت والحياة موجبة لتمايز الأعمال الحسنة والسيئة .

٢٤ ـ خوف الله موجب لتقوى النفوس وقبول الآثار .

٢٥ ـ كل عمل من حسن وسيىء له أثر ما على النفس .

٢٦ ـ مفهوم الرضا الإلهي .

٢٧ ـ المراد من الخلوص .

٢٨ ـ معنى الخوف والخشية .

٢٩ ـ معنى الشرك والشك .

وغير ذلك . .

هذه المباحث مفيدة وبناءة أكثر للأشخاص السالكين طريق الحق والباحثين في صراط السير والسلوك . هذا النوع من المطالب يهيىء الأرضية لعلو النفس وتعاليها .

في هذا الخصوص عندي ذكرى من الإمام (روحي له الفداء) مما يناسب ذكره من جهات عديدة في أحد أسفاري للخارج قبل الثورة لأجل رؤيته دام ظله ، بعد المثول في محضره الشريف انجر الحديث إلى الكلام حول

بعض رسائله الخطية ونشرها وقد قال حينها : «هذه المطالب ، كتبتها للذين هم آتون على الطريق» فقلت في جوابه : «من الممكن أن يكون بعض جوانب هذه الآثار مورداً لفائدة كبيرة ، وإن كان الكثير من هذه المطالب غير مفهوم للبعض» .

فقال : «ذلك مطلب آخر» .

في هذه الحال تذكرت قولاً للمرحوم الأستاذ آية الله الحاج الشيخ محمد فكور يزدي (قدس سره) حيث يقول (حرفياً) : السيد الخميني ، من البدء كان عنده حواشي على مصباح الأنس وأمثال ذلك . وفهم الكثير من تلك المطالب مشكل ومبهم على محققي عصرنا .

حقاً إن الأمر كذلك أيضاً ، بعض من مطالبه حول المعارف القرآنية ، والحديثية ملازم للبلوغ والرشد العالي الإنساني وقسم من تلك الحقائق من الممكن ألا تظهر وتبرز للكثيرين في هذه الدنيا ، بل في عالم البرزخ تتضح لهم بحدود حيث أن هذه الحقائق تنبع من معدن النور ومن كلمات الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وبرزت على لسان ولي من أولياء الله .

واقصر الكلام في هذا الموضع حيث يعجز اللسان وينكسر القلم ! .

٥ ـ ملاحظات حول المجموعة الملحقة بمتن الحديث العشرين :

المجموعة التي ستواجهك شرحٌ حول الحديث العشرين من الأربعين الذي يتحدث بما يرجع بالخصوص إلى الصلة والرابطة بين النية والإخلاص في الحديث المذكور وشرحه يوجد مفاهيم ومعارف وافرة مما يستحق الشرح والبسط لكن في هذه المجموعة الإعتماد الأصلي على الاتجاه الحديثي لذلك . حيث أنه كما ذكر مراراً فإن هذا الكتاب كان مورداً للمباحثة بعنوان محور لدرس علم الحديث إلى جانب مباحث تدريس الخارج في الفقه والأصول . والهدف الأصلي من طرح هذه المباحث كان توجيه الطلاب الأعزاء والفضلاء والمحققين إلى منبع الحديث العظيم ـ الذي يعد أحد

المنابع الأصلية للفقه ـ وعلى هذا الأساس ببركة الحديث المذكور طرحت مباحث حول علوم دراية الحديث والرجال (طبعاً في قسم الدراية كتاب الشهيد الثاني الذي هو كتاب جامع كان محوراً للدرس إلى جنب تدريس الدروس المذكورة) .

وفي الأساس حيث أن الحديث مبينٌ للقرآن ، وجزئيات وخصوصيات القرآن مع الأحاديث تتضح أكثر لذا فالتعرف إلى الحديث تعرف إلى القرآن . ومن هذا الوجه فمعرفة أبعاد المسائل الفقهية للقرآن مستلزم لتحصيل الإطلاع عن فحوى الأحاديث الواردة حول الآيات الفقهية للقرآن .

والمحور والمدار الأصلي لمباحث هذه المجموعة بيان كيفية ونحو الارتباط بين النية والإخلاص في أعمال الإنسان بمعنى أن عناوين : النية والإخلاص والخشية والخوف والرجاء وأمثالها في جهة كمال النفسْ . والعناوين التي في الطرف المخالف للعناوين المذكورة مثل : الرياء والعجب والشرك والشك وغير ذلك في جهة النقص والسواد للنفس . وبالطبع فكل واحد منها محور لمطالب يجب أن تطرح في قسمها الخاص .

لكن مطالب هذه المجموعة بإشعاع ذلك المتن وبركته حول الصلة والرابطة بين النية والإخلاص .

ولهذه الجهة نشير إلى أنه يوجد حالة تضارب بين العمل الخارجي والجوارحي مع نيته ـ طبعاً النية تعد من مبادىء العمل الإنساني ـ وذلك مثل العددين المضروبين ببعضهما كلما كانا أكبر فحاصل ضربهما يصير أكثر وأكبر .

يعني قيمة كل عمل الذي ينطلق من المبادىء الظاهرية والباطنية يساوي حاصل ضرب مقدار العمل في الوزن والطاقة التي تتجلى في هدف العمل ونيته .

قيمة العمل = العمل الخارجي الجوارحي × النية

وحيث أن الهدف والنية يوزن مع الإيمان يمكن أيضاً أن يعطي تضارباً

بشكل تصاعدي :

العمل الصالح = النية × الإيمان

وكذلك فهذه القاعدة بالنسبة للخلوص (الذي هو في الحقيقة شكل وكيفية النية وبلحاظ ذلك يعبّر بالإخلاص في العمل) تأخذ لنفسها صورة أكمل ، بهذا المعنى إنه الخلوص يضرب بالنية :

عمل صالح = النية × (إيمان × خلوص)

وفي هذا الخط يحصل عندنا أنه إذا كانت نية العمل توأماً وقريناً مع النية والخلوص فحسابه يصير كبيراً ، كي يتجلى في اتجاه القيمة التي لا نهاية لها ، بل درجات ومراتب الإخلاص والإيمان تشتد باتجاه القدرة والقوة التي لا نهاية لها :

عمل × إيمان × ص (إيمان × خلوص) ← قيمة بلا نهاية

دائرة الإيمان والنية أشمل وأوسع من حوزة العمل . وإذا ضربت بما يضاد قيمة العمل ـ مثل الشرك والرياء وأمثاله ـ تصير كالعدد المضروب بالصفر ، بل باتجاه ما يضاد القيمة بلا نهاية فينتج الانحطاط والحضيض . ويمكن استفادة مثل هذه المطالب من الآية الشريفة التالية وأشباهها :

﴿ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾[1] .

وكذلك إذا قايسنا هذه الآية الشريفة مع الآية الأخرى في سورة النحل آية ٩٧ فسنستفيد نتائج أخرى :

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ .

---

(١) سورة المؤمن ؛ آية : ٤٠ .

الإحياء حياة طيبة وطاهرة وخالدة ممكن على أساس كل نفس مطمئنة ، الله تعالى جعل عالماً خاصاً (. . .) حيث أن كل نفس مؤمن مع الأعمال الحسنة ، التوأم مع الإيمان والإخلاص تتجه نحو اللانهاية من الأجر والثواب ويطلب العالم الخاص لنفسه والله تعالى جعله لأجله ، فهو رب العالمين .

النموذج العملي الفقهي لذلك صلاة الجماعة التي ذكر لها الثواب الذي لا يحصى من ناحية الجمع المشارك فيها والشرائط الزمانية والمكانية وإمام الجماعة وأمثال ذلك . وصلاة الجمعة التي شرطها الجماعة هي مظهر من العمل الصالح الذي يحتوي على آثار عبادية بالاقتران مع الآثار الاجتماعية والسياسية الداخلية والخارجية وأمثال ذلك .

ويلزم أن نذكر هذه النكتة أيضاً أن مباحث هذه المجموعة التي دوّنت بصورة تقرير للدروس جمعت ونظمت بواسطة الأخ الفاضل والمخلص جناب حجة الإسلام السيد رحيم عباسي أيده الله تعالى الذي كان من أعمدة دروس الدراية والحديث والمتابعين لها . وكذلك فقد قام بعض الأصدقاء المخلصين بإحداث بعض التغيير فيها وأمثال هذا نحو بعض التغييرات أعطى جلاء لهذه المطالب أيضاً مما يستلزم أداء الشكر لهم على هذه المشقة التي تكلفوها . وبالطبع إن ما انتخب للطبع ونشر إنما هو قسم من المجموعة التي قررت .

وبالحقيقة فإن المباحث التي لها جنبة فنية وتخصصية وليست لها فائدة تذكر لعموم القراء قد حذفت . فبالتوجه إلى هذه النكتة فإذا لم يتضح الارتباط بين بعض فقرات الحديث فهذا يعني أنه بسبب حذف بعض حلقات هذه الأبحاث . ونأمل - إن شاء الله تعالى - أن تقع هذه السلسلة من المطالب مورداً لاستفادة السالكين في طريق الحق والمحققين المحترمين . ضمناً من دواعي الامتنان أن يقوم أهل التحقيق والنظر بإلفات الكاتب إلى آرائهم لإصلاح وتكميل هذه المجموعة . حيث أنه قد ارتأينا - إذا فسح في الأجل - ومع الاستعانة بالله تعالى تقسيم مجموعة الأربعين حديث هذه إلى أربعين كتاب مستقل بشكل يشتمل كل كتاب على واحد من هذه الأربعين .

من المناسب أن نلتفت في الخاتمة إلى كلام خاتم الرسل (ص) الذي ذكره في خطبة له في شهر شعبان بمناسبة حلول شهر رمضان :

فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه .

في الختام نسأل الله المتعال السلامة وطول العمر للقائد الكبير والعظيم للثورة الإسلامية مع حفظ إنجازات الثورة في ظل توجهات ولي العصر أرواحنا لتراب مقدمه الفداء .

ومن الله التوفيق وهو المهيمن

شعبان المعظم ١٤٠٩ هـ. ق.	الحوزة العلمية في قم ـ محمد حسن
الموافق اسفند ١٣٦٧ هـ. ش.	بن ملا أحمد أحمدي فقيه (يزدي)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث العشرون

بالسند المتصل إلى الشيخ الثقة الجليل محمد بن يعقوب الكليني (قدس سره) عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن القاسم بن محمد عن المنقري عن سفيان بن عيينة عن أبي عبد الله (ع) في قول الله تعالى : **﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾**[1] قال : ليس يعني أكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً ، وإنما الإصابة : خشية الله والنية الصادقة والخشية (والحسنة) ثم قال : الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل ، والعمل الخالص : الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله عز وجل ، والنية أفضل من العمل ، ألا وإن النية هي العمل . ثم تلا قول الله عز وجل : **﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾**[2] يعني على نيته[3] .

الشرح : البلاء بمعنى الامتحان والتجربة ، إذ قال في الصحاح : «بلوته بلواً : جربته واختبرته وبلاه الله بلاءً وأبلاه إبلاءً حسناً وابتلاء أي اختبره» .

---

(١) سورة الملك ؛ آية : ٣ .

(٢) سورة الإسراء ؛ آية : ٨٤ .

(٣) الأصول من الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الإخلاص ح ٤ ج ٢ .

وأيكم مفعول ثان ليبلوكم مع تضمين معنى علم بناء على كلام المجلسي[1] وهذا لا يصح حيث أن أي الاستفهامية تعلق الفعل عن العمل .

والصواب هو أن «أيكم أحسن عملاً» جملة من مبتدأ وخبر وهي في المعنى مفعول لفعل يبلوكم ، وإذا أخذنا «أي» على أنها موصولة فهناك وجه لكلام المجلسي لكن كونها استفهامية هو الأظهر .

والصواب نقيض الخطأ .

و «الخشية» الثانية غير موجودة في بعض النسخ كما ذكر المجلسي (ره) ، وإذا كانت موجودة ففيها احتمالات أظهرها كون الواو بمعنى مع . وقد نقل عن أسرار الصلاة للشهيد الثاني أن «النية الصادقة الحسنة» .

والإبقاء على العمل حفظه ومراعاته إذ يقول الجوهري : «أبقيت على فلان إذا أرعيت عليه» .

و «شاكلة» بمعنى الطريقة والشكل والناحية كما في القاموس والصحاح فعن القاموس «الشاكلة : الشكل والناحية والنية والطريقة» .

ونحن سنبين ما يحتاج إلى الشرح من الحديث الشريف في ضمن عدة فصول إن شاء الله تعالى .

فصل

«ليبلوكم» إشارة إلى قوله تعالى :

﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾[2] .

قال المحقق المجلسي (قدس سره) : «تدل هذه الآية الشريفة على أن

(١) مرآة العقول ج ٧ ص ٧٨ .

(٢) سورة تبارك ؛ آيتان : ١ و ٢ .

المـوت أمر وجـودي . والمراد منـه أما المـوت الطارىء على الحيـاة أو العدم الأصلي . انتهى»[1] .

دلالة[2] هذه الآية الشريفـة مبنية على أن الخلق يتعلق بـالموت بـالذات وأما إذا كان الموت مورداً للتعلق بالعرض فلا دلالة لها كما يقول المحققون .

وعلى فرض الدلالة فلا وجه لاحتمال أن الموت في الآية عدم أصلي لأن كون العدم الأصلي وجوداً جمع بين النقيضين . مع أنه لا يصـح في حد ذاتـه تفسير الموت بالعدم الأصلي وبالجملة فالتحقيق هو أن الموت عبارة عن انتقال النشأة الظاهرة الملكية إلى النشأة الباطنـة الملكوتيـة . أو أن الموت عبـارة عن حياة ثانوية ملكوتية بعد حياة أولى ملكية . وعلى كل تقدير فهو أمر وجـودي ، بـل هو أتم من الـوجود الملكي ، حيث أن الحيـاة الدنيـويـة الملكيـة مشـوبـة بـالمواد الـطبيعية التي تكـون حياتهـا عرضيـة زائلة ، بخلاف الحيـاة الـذاتيـة الملكـوتية حيث يحصـل الاستقلال فيهـا للنفوس . وتلك الـدار هي دار حيـاة ومن لوازم الحياة ، والأبدان المثالية البرزخية لها قيام صدوري في النفوس كما قرر في محله اللائق .

وبالجملة فالحيـاة الملكوتيـة التي يعبر عنهـا بالموت ـ لكي لا يثقل على سمع المستمعين ـ متعلقة للجعل والخلق وهي تحت قدرة الذات المقدسة .

وقد كنا ذكرنا قبل هذا معنى الاختبـار والامتحان وكيفيـة نسبة ذلـك إلى الحق المتعال جل جلاله بشكل لا يستلزم تجهيل الـذات المقدسـة ولا يحتاج إلى التكلفات والتأويلات . ونذكر إجماله بطريق الإشارة وهو ما يلي :

*** في الإشارة إلى توجيه نسبة الابتلاء للحق تعالى :**

النفـوس الإنسانيـة في بدو الفـطرة والخلقة ليست إلا محض الاستعـداد ونفس القابلية وهي عارية عن أي نوع من الفعلية من ناحية السعادة والشقاوة ،

---

(١) مرآة العقول ج ٧ ص ٧٧ وبحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٣٠ .

(٢) أي دلالتها على ما قاله المجلسي من أن الموت أمر وجودي .

وبعد الوقـوع تحت الحركـات الطبيعيـة الجوهـرية والفعليـة الاختياريـة تتحول الاستعدادات إلى الفعلية وتتحقق التمايزات .

فامتياز السعيد عن الشقي والغث من السمين يحصل في الحيـاة الملكية وهدف خلق الحياة هو الامتياز واختبـار النفوس . إذاً قـد علم ترتب الامتحـان على خلق الحيـاة وأما خلق المـوت فهو أيضـاً دخيل في هـذا التمايـز بـل هـو الجـزء الأخير من العلة إذ أن الميـزان في الفعليـات هي الصـور الأخيـرة التي ينتقل الإنسان بها .

وبالجملة فميزان التمـايز هـو الصور الأخـروية الملكـوتية وهـذه تحصل بواسطة الحركات الجوهرية والاختيارية الدنيوية الملكية . إذا صار من المعلوم من غير جهل ترتب الامتحان والاختبار على خلق الموت والحياة .

والتفصيل في هذا الباب ليرتفع الإشكال بشكـل كلي منوط ببيـان العلم الذاتي لله قبل الإيجـاد وعلمه الفعلي مـع الإيجاد وهـذا خارج عن نـطاق هذا الكتاب . وقولـه تعالى **﴿أيكم أحسن عمـلاً﴾** وجعل الامتحـان راجعاً لأحسن الأعمال فذلك أيضاً يـرجع إلى هـذا المعنى المذكـور ، وعليه يفسـر الحديث الشـريف لأنه فسـر الأحسنية بـالأصوبيـة وارجع الأصـوبية إلى الخشيـة والنيـة الصادقة وتلك صور باطنية للنفوس . ومورد التمايـز الواقعي لـلأرواح مع أنهـا مظاهر التمايزات الغيبية الذاتيـة بل بنـاء على تأثـر القلب والباطن من الأعمـال الظاهرية الذي ذُكر سابقاً فهذه التمايزات تحصل أيضاً بواسطة الأعمـال ، فإذاً امتحان الأعمال امتحان للذاتيات أيضاً .

وإذا حملنا الآية الشريفة على ظاهرها وقطعنا النظر عن تفسير الإمام (ع) فـالامتحان أيضـاً سيكون بهـذا المعنى حيث أن نفس التحقق في نشأة الـدنيـا وخلق الموت والحياة موجبان لتمايز الأعمال الحسنة عن السيئـة . أما إيجـاب خلق الحياة للتمايـز فمعلوم وأما إيجـاب خلق الموت لـذلك فـلأنه مـع العلم بعدم ثبات الحياة الدنيوية وحصـول الانتقال من هـذه النشأة الفـانية فستختلف

أعمال الإنسان طبعاً ويتحقق التمايز .

فصـــل

في بيان أن الخشية والنية الصادقة تبعثان على صواب الأعمال .

إعلم أنـه في هذا الحـديث الشـريف قـد أنيط الصـواب وحسن العمـل بأصلين شريفين ، وجعل الميزان في كمالها وتمامها هذين الأصلين : أحدهما الخـوف والخشية من الحق تعـالى والآخر النيـة الصادقـة والإرادة الخـالصـة ، والمطلوب هنا بيان الصلة القائمة بين هذين الأصلين مع كمال العمـل وصوابـه وصحته .

فنقـول إن الخوف من الحق تعـالى موجب لتقـوى النفـوس وارتـداعهـا وذلك بدوره يبعث على كون قبول آثار الأعمال أكثر .

وتفصيل ذلك الإجمـال أنه قـد ذكرنـا سابقـاً في شرح بعض الأحـاديث السالفة أن كل واحد من الأعمال الحسنة أو السيئة له تأثير في النفس .

فـإذا كان ذلـك العمل من سنـخ العبادات والمنـاسك فتـأثيره يكـون في إخضاع القوى الطبيعية للقـوى الفعلية وقـاهريـة الجنبة الملكـوتية للنفس على جنبة الملك وانقياد الطبيعة للروحانية حتى يبلغ مقام الجذبات الروحيـة ويصل إلى المقصـود الأصلي . وكل عمـل يكـون أكثـر تـأثيـراً في هـذا ويؤدي هـذه الخدمة بشكل أكبر يكون أصوب ويترتب عليه المقصود الأصلي بشكل أفضـل وكل شيء يكون دخيلاً في هذا التأثير فهو متكفل لصواب العمل .

وغـالباً يكـون هذا هـو المقيـاس لأفضليـة الأعمـال . ويمكن أن يكـون الحديث المعروف أفضل الأعمال أحمزها منطبقاً على هذه النكتة أيضاً .

وبعـد معلومية هـذه المقدمـة ينبغي أن يعلم أن التقـوى تصفي النفـوس وتطهرها من الكدورات والقذارات . وبالطبع فـإذا كانت صفحـة النفس نظيفـة من حجب المعـاصي وكدوراتهـا فالأعمـال الحسنة تكـون أكثر تـأثيراً وأفضـل

إصابة للغرض . ويتحقق السر الكبير للعبادة الذي هو ترويض الطبيعة وقهر الملكوت للملك ونفوذ الإرادة الفاعلة للنفس بشكل أفضل .

فالخشية من الحق التي هي مؤثر تام في تقوى النفوس واحد من العوامل الكبرى في إصلاح النفوس ونحسب مما له دخالة في إصابة الأعمال وحسنها وكمالها حيث أن التقوى مضافاً إلى كونها بنفسها أحد المصلحات للنفس فهي ذات فعالية في تأثير الأعمال القلبية والقالبية للإنسان وموجبة لقبولها أيضاً . كما يقول الله تعالى :

﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾[1] .

في خلوص العمل

والعامل الثاني الكبير في إصابة الأعمال وكمالها والذي هو في الحقيقة بمنزلة القوة الفاعلة ـ كما أن الخشية والتقوى الحاصلة منها بمنزلة شرائط التأثير وفي الحقيقة فهما يبعثان على تطهير للقابل ويرفعان المانع ـ هو النية الصادقة والإرادة الخالصة التي يكون الكمال والنقص وحجة العبادة وفسادها تابعاً لها بشكل كامل وكلما كانت العبادة أكثر خلوصاً من الشرك وشوب النيات كانت أكثر كمالاً .

وليس هناك أي شيء في العبادات في درجة أهمية النية وتخليصها . حيث أن نسبة النيات للعبادات نسبة الأرواح للأبدان والنفوس للأجساد كما أن أجساد الأعمال (صدرها) تصدر من مقام ملك النفس وبدنها والنية والروح تصدر من جنبة الباطن للنفس ومقام القلب .

وليست تقبل أية عبادة في عتبة الحق تعالى ما لم تكن بنية خالصة إلا أنها إذا لم تكن خالصة من الرياء والشرك الظاهري الملكي ـ وهو الموجب للرياء الذي ذكره الفقهاء (رضوان الله عليهم) ـ كانت باطلة وغير مجزية

---

(١) سورة المائدة ؛ آية : ١٧ .

ظاهراً ، وإن لم تكن خالصة من الشرك الباطني فهي وإن كانت صحيحة ومجزية حسب ظاهر الشرع والحكم الفقهي ولكنها ليست صحيحة حسب باطن الشرع والواقع وفلسفة العبادة وغير مقبولة لدى الذات المقدسة . فلا ملازمة بين صحة العبادة وقبولها كما قد أشير إلى ذلك كثيراً في الأخبار المأثورة عن أهل البيت (عليهم السلام) .

في الشرك ومراتبه

والتعريف الجامع للشرك في العبادات الشامل لكل مراتبه هو : إدخال رضا غير الحق في العبادة . سواء كان ـ رضا غير الحق ـ رضا نفسه أو غيره . إلا أنه إذا كان إدخالاً لرضا غير نفسه من الناس في العبادة كان شركاً ظاهرياً ورياءً فقهياً . وإن كان الإدخال لرضا نفسه كان شركاً خفياً وباطنياً والعبادة باطلة ولا تعد بشيء لدى أهل المعرفة ولا تكون مقبولة لدى الحق سبحانه .

مثلاً من يؤدي صلاة الليل لسعة رزقه أو يتصدق لدفع البلاء أو يدفع الزكاة لتنمية أمواله ويأتي بهذه العبادات من أجل الحق تعالى ، ولكنه يسأل ربه أن يهب له تلك الأمور ببركة تلك العبادات ، هذه العبادات وإن كانت صحيحة ومجزية وتترتب عليها تلك الآثار أيضاً إذا اشتملت تلك العبادات على أجزائها وشرائطها ولكنها لا تكون عبادة للحق المتعالي وغير محتوية للنية الصادقة والإرادة الخالصة . بل هي عبادة لتعمير الدنيا ولنيل الرغبات النفسية الدنيوية فلا يكون عمله مصيباً . كما أن العبادات إذا كانت نتيجة الخوف من نار جهنم والشوق إلى الجنة ، فلا تكون خالصة للحق سبحانه ، ولا تكون متضمنة للنية الصادقة ، بل نستطيع أن نقول إن مثل هذه العبادات خالصة للشيطان والنفس ، لأن الإنسان الذي يقوم بمثل هذه العبادات ـ لأهداف دنيوية أو فزعاً من جهنم ـ لم يُدخل رضى الحق سبحانه في عبادته البتة ، حتى يتحقق الشرك ، وإنما عَبَدَ الصنم الكبير فقط (إن أم الأصنام هي صنم النفس) .

إن الله سبحانه يقبل أمثال هذه العبادات نتيجة عجزنا ونتيجة رحمته

الواسعة ، بدرجة واحدة ، بمعنى أن هناك آثار تترتب على هذه العبادات ، ومكافآت في مقابلها ، فلو أن الإنسان عمل بتلك الشرائط الظاهرية ، ومع توجه القلب وحضوره ومع شرائط قبول الأعمال ، ترتبت الآثار كافة عليها وأنجزت تلك المكافآت الموعودة .

هذا هو حال عبادة العبيد والأُجراء . وأما عبادة الأحرار الذين يعبدون الله لحبهم الحق المتعالي ولبحثهم عن الذات المقدسة ، ولا يعبدونه من أجل الخوف من نار جهنم أو الشوق إلى الجنة ، فهذه العبادة أول مقام الأولياء والأحرار . ولهم مقامات ومعارج أخرى لا يمكن ذكرها . فما دامت النفس تلتفت إلى العبادة والعابد والمعبود ، لم يتحقق الخلوص . يجب أن يخلو القلب من الغير ولا ينفذ فيه أحد غير الحق حتى يكون خالصاً . كما ورد في الحديث الشريف المنقول عن الكافي بسنده إلى سفيان بن عيينه (راوي الحديث العشرين) قال :

«سألته عن قول الله عز وجل : ﴿**إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم**﴾ . قال : القلبُ السليم الذي يلقى ربهُ وليس فيه أحد سواه قال : وكل قلبٍ فيه شرك أو شك فهو ساقط وإنما أراد بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة»[1] .

ومن المعلوم أن القلوب التي استقبلت غير الحق وتعرضت لهزات الشك والشرك سواء كان الشرك جلياً أم خفياً فهي ساقطة في محضر القدس الربوبي . وإن من الشرك الخفي الإعتماد على الأسباب والركون إلى غير الحق .

وقد ورد عن أبي عبدالله (عليه السلام) أن الشرك أخفى من ذبيب النملِ ، وقال : منه تحويل الخاتم ليذكر الحاجة وشِبْهِ هذا[2] .

---

(١) أصول الكافي ، المجلد الثاني ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الإخلاص ، ح ٥ .

(٢) وسائل الشيعة ، المجلد ٣ ، أبواب أحكام الملابس ، باب ٦١ ، ص ٤٠٩ وقد أفتى صاحب الوسائل بعدم الجواز إلا في عدد الركعات . لكن سوق الرواية يشهد على الكراهية (منه عفى الله عنه) .

ودخول غير الحق المتعالي إلى القلب يعدّ من الشرك الخفي وإخلاص النية هو إخراج غير الحق سبحانه من مقام الذات المقدس ـ القلب ـ.

وكما أن للشرك مراتب ، يكون للشك مراتب أيضاً ، وأن منها الشك الجلي ، ومنها الشك الخفي . وتحصل هذه المراتب نتيجة ضعف في اليقين ونقصان في الإيمان ، كما أن التزلزل في الأمور نتيجة لذلك أيضاً . ومرتبة إخفاء الشك ، حالة من التلون في القلب وعدم التمكين في التوحيد . فالتوحيد الحقيقي ، هو إسقاط الإضافات والتعيّنات والكثرات ، حتى كثرات الأسماء والصفات ، والتمكين فيه يكون بالخلاص من الشك . وإن القلب السليم ، هو القلب الفارغ من مطلق الشرك والشك . وفي هذا الحديث الشريف القائل «وإنّما أراد بالزهد . . .» إشارة إلى أن الغاية من الزهد في الدنيا هو انصراف القلب شيئاً فشيئاً عن الدنيا وتنفره عنها ، وتوجهه إلى المقصود الأصلي والمطلوب الواقعي ـ الحق المتعالي ـ.

ويبدو من صدر الحديث ـ المروي عن سفيان بن عيينة ـ أن المقصود من الآخرة النهاية القصوى لدائرة الوجود ، ونهاية الرجوع . وهي الآخرة بالقول المطلق . فعليه تكون الدنيا كل دائرة الظهور ، والزهد فيها يستلزم خلوص القلب من غير الحق تعالى . فكل من في قلبه غير الحق عز وجل ، ينتبه إلى غيره سبحانه ـ من دون فرق بين أن يكون هذا الغير من الأمور المُلكية المادية أو الأمور المعنوية ومن دون فرق بين أن تكون الصورة أخروية أو من الكمالات أو المدارج الشامخة ، وملخص القول التوجّه إلى غير الحق المتعالي ـ يعدّ من عمل أهل الدنيا ولا يكون زاهداً فيها ويكون محروماً من الآخرة الحقيقية ، وجنّة اللقاء التي هي أعلى مراتب الجنة ، وإن كانت لهم مراتب أخرى من الكمالات المعنوية والجنان الرفيعة . كما أن أهل الدنيا ذو مقامات مختلفة بالنسبة إلى الأحوال الدنيوية ، ولكن تلك المقامات بعيدة كثيراً عن أهل الله .

فصــل
في تعريف الإخلاص

إعلم أنهم ذكـروا تعاريف مختلفـة للإخـلاص ونحن نذكـر بعضها وهـ المتداول لدى أهل السلوك والعرفان ، بصورة مختصرة .

قال العارف الحكيم السالك خواجة عبدالله الأنصاري (قدس سره) :

«الإخلاص تصفية العمل من كلّ شوب»

وهــذا أعم من أن يشـوب العمـل بـرضى نفســه ، أو رضى غيـره من المخلوقات الأخرى .

ونقـل عن الشيخ البهـائي أن أرباب القلوب ـ العـرفاء ـ ذكـروا تعـاريف عديدة للإخلاص :

قيل : «هو تنزيه العمل أن يكون لغير الله فيه نصيبـه» وهذا أيضـاً قريب إلى التعريف المذكور .

«وقيل : هو أن لا يريد عامله عليه عوضاً في الدارين» .

ونقـل عن صـاحب غـرائب البيـان : أن المخلصين هم الـذين يعبـدون الله ، ولا يرون أنفسهم ولا العالم ولا أهله في العبودية ، ولا يتجـاوزون حدود العبودية في مشاهدة الربوبية .

وعندما تتساقط من العبد حظوظه بـدءاً من التراب وانتهـاءاً بالعـرش فقد سلك الدين ، وهو طريق العبودية الخالصة من رؤية الحوادث ـ غير الله ـ نتيجة شهـود الروح لجمـال الرب المتعـالي . وهذا هـو الدين الـذي اصطفـاه الحق المتعـالي لنفسه ، وأخلصـه من غير الحق قـائلاً ﴿ألا لله الـدين الخـالص﴾[1] والدين الخالص هو نور القدم ، بعد اضمحلال الحدوث في فيّاض نور عـظمته

---

(١) سورة الزمر ، آية : ٣ .

ووحدانيته . فكأنّ الله قد دعا عباده على سبيل التنبه والإشارة نحو تخليص سرّه في الغير لدى توجههم إليه .

ونقل عن الشيخ المحقق محيي الدين العربي أنه قال :

«ألا لله الدينُ الخالصُ عن شَوب الغيريّةِ والأنانيّة ، لأنك لفنائك فيه بالكلّيّة فلا ذات لك ولا صفة ولا فعل ولا دين وإلّا لما خلص الدين بالحقيقة ولا يكون لله» . فما دامت العبودية والغيرية والأنانية باقية والعابد والمعبود والعبادة والإخلاص والدين حاضراً ، يكون ـ العمل ـ مشوباً بالغيرية والأنانية وهذا شرك لدى أرباب القلوب .

إن عبادة أرباب الإخلاص هي رسم تجليات المحبوب ، ولا يوجد في قلوبهم سوى الحق المتعالي الواحد . ومع أن أفق الإمكان قد اتصل بالوجوب ، وإن التدلّي الذاتي ، والدنو المطلق الحقيقي قد حصل لهم ، وإن رسم الغيرية قد ارتفع بالكلية عنهم ، فهم يقومون بكافة وظائف العبودية . ولا تكون عبادتهم بالرؤية والتفكر ، بل تكون عبادتهم بالتجلي ، كما أشير إلى هذا المعنى في صلاة ليلة معراج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فصل
في بيان الإخلاص بعد العمل

اعلم أن ما ورد في الحديث الشريف «الإبقاء على العمل حتى يخلص أشدُّ من العمل» حث على لزوم المحافظة والمواظبة على الأعمال ، التي تصدر من الإنسان حين إنجازها وبعد تحققها ، إذ قد يأتي الإنسان بالعمل دون عيب ونقص وخالٍ من الرياء والعُجب وغيره ، ولكنه بعد العمل وبواسطة ذكره للآخرين يعاب بالرياء ، كما ورد في الحديث الشريف المنقول عن الكافي :

«عن أبي جعفر (عليه السلام) أنّه قال : الإبقاء على العمل أشدّ من

العمل . قال : وما الإبقاء على العمل ؟ قال : يصلُ الرجل بصلةٍ وينفق نفقةً لله وحده لا شريك له سرّاً ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى فتكتب له رياءً»[1] .

إن الإنسان حتى نهاية حياته لا يأمن أبداً شر الشيطان والنفس ، وعليه أن لا يظن بأنه عندما أتى بعمل لوجه الله ، من دون ملاحظة رضى المخلوق ، أصبح في مأمن من شر النفس الخبيثة . وإنه إذا لم يراقب العمل ولم يواظب عليه ، فمن الممكن أن تجبره نفسه على إظهاره أمام الآخرين . وقد يتم الإظهار بالإيماء والتلويح ، فمثلاً إذا أراد أن يكشف عن صلاة الليل التي أتي بها للناس ، التجأ إلى أساليب اللّف والدوران ، فيتحدّث عن حسن جو السَمَرِ أو رداءته وعن مناجاة الناس أو أذانهم في السحر ، وضيّع عمله من جرّاء المكائد الخفيّة للنفس ، وألغاه من الاعتبار .

يجب أن يكون الإنسان مثل الطبيب الرحيم ، والمرافق الرؤوف يراقب نفسه ، ولا يسمح لفلتان زمامها من يده ، لأنها في لحظة من الغفلة تنفلت من يده وتقوده إلى الذل والهلاك . وعلى أي حال نستعيذ بالله من شر الشيطان والنفس الأمارة . ﴿إنّ النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾[2] .

ولا بد من معرفة أن تخليص النية من جميع مراتب الشرك والرياء وغيرها ومراقبتها والمحافظة عليها من الأمور الصعبة والمهمة جداً ، بل إن بعض مراتبها لا يتيسر إلا للخلّص من أولياء الله تعالى ، لأن النية عبارة عن الإرادة الباعثة نحو العمل ، وهي تتبع الغايات الأخيرة الدافعة نحو العمل ، كما أن هذه الغايات تتبع الملكات النفسانية التي تشكل باطن ذات الإنسان وشاكلته . فمن له حبّ الجاه والرياسة ، وغدا هذا الحب ملكة نفسانية وشاكلة روحه ، كان منتهى أمله البلوغ إلى سدّة الزعامة ، وكانت أفعاله الصادرة منه تابعة لتلك الغاية ، وكان دافعه ومحركه هو مبتغاه النفسي

---

(١) أصول الكافي ، المجلد الثاني ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الرياء ، ج ١٦ .
(٢) سورة يوسف ، آية : ٥٣ .

المذكور ، وصدرت عنه أعماله للوصول إلى ذلك المطلوب . فما دام هذا الحب في قلبه ، لا يمكن أن يصير عمله خالصاً . ومن صار حب النفس والأنانية ملكة له ، وشاكلة نفسه ، كانت غاية مقصده ونهاية مطلوبه الوصول إلى ما يلائم نفسه وكان الدافع والمحرك له في هذه الأعمال ، نفس هذه الغاية ، سواء كانت الأعمال للوصول إلى مطلوب دنيوي أو أخروي من قبيل الحور والقصور والجنّات ويعم ذلك العالم ، بل ما دامت الأنانية والذاتية موجودة ، كان إقدامه أو سلوكه لتحصيل المعارف ـ الربوبية ـ والكمالات الروحية ، لنفسه ونفسانياته من حجب للنفس لا من حبّ الله . ومن المعلوم أنهما لا يجتمعان ، بل إذا أحبّ الله كان من أجل نفسه وليس من أجل الله وكانت غاية المقصود ونهاية المطلوب نفسه ونفسانياته .

فاتضح أن تخليص النية من مطلق الشرك ، عمل صعب جداً ، ولا يقدر عليه كل أحد . وإن كمال الأعمال ونقصها تابع لكمال النية ونقصها ، لأن النية هي الصورة الفعلية ، والناحية الملكوتية للعمل ، كما أشرنا إليه سابقاً .

بيان أن كمال الأعمال ونقصها بحسب النيات :

وفي الحديث الشريف تلميح إلى هذا الموضوع ، عندما يقول : «والنية أفضل من العمل ألا وإنّ النية هي العمل» واحتمل بعضٌ أن هذا المعنى مبالغة ، ولكنه ليس بشيء من المبالغة ، بل مبني على الحقيقة ، لأن النية هي الصورة الكاملة للعمل ، والفصل المحصل له ، وصحة العمل وفساده وكماله ونقصه ، مرتبطة بالنية .

كما أن عمل شخص واحد لاختلاف نيته قد يكون تعظيماً للغير ، وقد يكون توهيناً له ، وقد يصير تاماً بها ، وقد يصير ناقصاً لفقدانها ، وقد يكون من سنخ الملكوت الأعلى وله صورة بهية جميلة ، وقد يكون من سنخ الملكوت السفلى وله صورة موحشة مخيفة .

إن ظاهر صلاة علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وظاهر صلاة المنافق

متضاهيان في الأجزاء والشرائط والشكل الظاهري ، ولكن هذا يعرج بعمله إلى الله ، ولصلاته صورة ملكوتية أعلى ، وذاك يغور في أعماق جهنم ، ولصلاته صورة ملكوتية سفليّة .

وعند تقديم أهل بيت العصمة (عليهم السلام) ، للفقير أقراصاً من خبز الشعير لوجه الله ، تنزل من عند الله سبحانه آيات كريمة في الثناء عليهم ، ويحسب الإنسان الجاهل أن تحمّل الجوع ليومين أو ثلاثة أيام ودفع الطعام إلى الفقير أمراً مهماً ، رغم أن مثل هذه الأعمال يمكن أن تصدر من كل شخص ، من دون صعوبة . في حين أن أهمية هذا العمل تكمن في القصد الخالص والنية الصادقة . إن روح العمل ، القوية واللطيفة والتي تنبعث من القلب السليم الصافي ، هي مصدر هذه الأهمية القصوى .

إنه لا فرق بين المظهر الخارجي للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكافة الناس، ولهذا عندما كان يدخل عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) شخص من خارج المدينة ، وكان (عليه الصلاة والسلام) جالساً مع مجموعة من المسلمين ، يسأل الوافد ـ أيكم النبي ؟ أن الذي يفضل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على غيره ، هو روحه الكبيرة ، القوية ، اللطيفة لا جسمه المبارك وبدنه الشريف ، وقد قالوا في العلوم العقلية أن شيئية الشيء بصورته لا بمادته . بل إن الحد التام هو التعريف بالفصل فقط ، أما التعريف بالجنس والفصل فهو من الحد الناقص ، لأنّ الاختلاط بالغرائب والأجانب ، والتعريف بالمنافي ، يسيء إلى حقيقة الشيء وتعريفه وتماميته . والمادة والجنس تعتبران من الغرائب والأجانب بالنسبة إلى حقيقة الشيء التي هي عبارة عن الصورة والفعلية والفصل . فإذن تمام حقيقة الأعمال وناحيتها الملكوتية التي هي النية .

ويستفاد من هذا البيان أن الإمام الصادق (عليه السلام) قد بيّن في هذا الحديث ـ الحديث العشرون ـ:

أولاً : صور الأعمال وموادّها ، وقال إن الجزء الصوري أفضل من

الجزء المادي ، وأن النية أفضل من العمل ، كما نقول إن الروح أفضل من الجسم وليس لازم ذلك ـ مقتضى أفعل التفضيل ـ إن العمل من دون نية يكون صحيحاً ، وإن الجسم من دون الروح يكون جسماً ، بل المعنى أن بعد تعلق النية بالعمل ، والروح بالجسم يتحقق عمل واحد ، وجسم واحد ، وأن كل واحد من الجزء الصوري الملكوتي في هذين المزيجين الخليطين : أحدهما من النية والعمل والآخر من الروح والجسم ، الجسم أفضل من الجزء المادي الملكي . وهذا هو معنى الحديث المشهور : «نية المؤمن خيرٌ من عمله»[1] .

وثانياً : إن العمل يكون فانياً في النية ، والملك في الملكوت ، والمظهر في الظاهر وقال (عليه السلام) «ألا وإنّ النية هي العمل» ولا يوجد شيء آخر عدا النية ، وإن جميع الأعمال فانية في النية ، ولا استقلالية لها . ثم استشهد بقوله تعالى ﴿**قل كل يعمل على شاكلته**﴾ وإن الأعمال تابعة لشاكلة النفس ، وشاكلة النفس وإن كانت الهيئة الباطنية للروح ، والملكات المخمرة فيها ، لكن النية هي الشاكلة الظاهرية للنفس .

ونستطيع أن نقول بأن الملكات هي الشاكلة الأولية للنفس ، والنيات هي الشاكلة الثانوية لها ، والأعمال تتبعها ، كما قال الصادق (عليه السلام) .

ومن هنا يتبين بأن طريق تخليص الأعمال من جميع مراتب الشرك والرياء وغيرها ينحصر في إصلاح النفس وملكاتها ، ويكون ذلك معيناً لكل الإصلاحات ، ومصدراً لجميع المعارج والكمالات .

فإذا أخرج الإنسان حب الدنيا عبر الترويض العلمي أو العملي من قلبه ، كانت غايته المنشودة شيئاً آخر غير الدنيا ، وخلصت أعماله من الشرك الأعظم الذي هو جلب أنظار أهل الدنيا وكسب موقع لديهم ، وطهرت نيته ، وتساوى عنده العمل في الجلوة أو الخلوة في السر والعلن .

وإذا أخرج الإنسان من قلبه حب النفس بالرياضة النفسية ، فبالمقدار

---

(١) أصول الكافي المجلد الثاني ، كتاب الإيمان والكفر ، ح

الـذي يفـرغ القلب من حب النفس ، يمتـلأ حبـاً لله ، وتخلص أعمــالـه من الشرك الخفي أيضاً . وما دام حب النفس في القلب ، وما دام الإنسـان يعيش في البيت المـظلم للنفس ، لا يكـون مسـافـراً إلى الله تعـالى ، بـل يعـدّ من المخلدين في الأرض ، فـإن الخـطوة الأولى نحـو الله ، تتمثـل في تـرك حب النفس ، والوطأ بقدمه على الأنانية والذاتية . وهذا هو المقيـاس في السفر إلى الله . .

قال بعض إن هذا هو أحد معاني الآية الكريمة :

﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجرهُ على الله﴾[1] .

أي من يخرج من بيت نفسه ويهاجر إلى الحق في الـرحلة المعنويـة ثم يدركه الفناء التام كان أجره على الله تعالى .

ومن المعلوم أن مثل هذا المسافر لا يستحق أجـراً ومكافـأة إلاّ مشاهـدة الذات المقدس ، والوصول إلى الفنـاء في حضرتـه ، كما يقـال على ألسنتهم بيت شعر :

لا يتطرق إلى قلوبنا أحد أبداً إلا الحبيب .

فقدّم العالم إلى العدو فإننا اقتصرنا على الحبيب .

---

(١) سورة النساء ، آية : ١٠٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستمد ونستعين

في كتاب الإيمان والكفر ، باب الإخلاص ، الحديث الرابع من المجموعة الشريفة أصول الكافي رويت هذه الرواية :

عن سفيان بن عُيينة عن أبي عبدالله (ع) في قول الله تعالى : **﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾**[1] قال : ليس يعني أكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة والخشية (والحسنة) .

ثم قال : الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله عز وجل والنية أفضل من العمل ، ألا وأن النية هي العمل ، ثم تلا قوله عز وجل : **﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾**[2] يعني على نيته .

في هذا الحديث الشريف ، قام الإمام الصادق (عليه السلام) ابتداء بتفسير آية من القرآن الكريم وذكر بعض المطالب وفي توضيح تلك المطالب أورد آية أخرى شاهداً . أصل الآية التي كانت مورداً لتفسير الصادق (ع) هي الآية الثانية في سورة الملك :

(١) سورة الملك ، آية : ٢ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٨٤ .

﴿الـذي خلق الموت والحيـاة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهـو العـزيـز الغفور﴾ .

في هـذه الآية يـوجد عـدة نكات تستحق الـذكـر . الآيـة تقـول : خلق الموت . فهل الموت قابل للخلق ؟ هل الموت شيء يتعلق به الإيجاد ؟

الجـواب على ذلك : نعم . المـوت أيضاً مخلوق الله . فـالمـوت ليس أمراً عدمياً غير قابل للخلق بل هو أمر وجودي[1] .

في هذا المجال يـوجد كـلام وبيان في كتـاب «الأربعين» (استثنائي) في أهميته ووقته ، الفقيـه الأكبر والأستـاذ الأعظم ، العـارف المجاهـد ، العلامـة الكبيـر إمام الأمـة الخميني (مد ظله العـالي) يقول في شـرح هذا الحـديث : «التحقيق أن الموت عبارة عن الانتقـال من النشأة الـظاهرة الملكيـة إلى النشأة الباطنة الملكوتية . أو أن الموت عبارة عن حياة ثانية ملكوتية بعد الحياة الأولى الملكيـة» في الآية الشـريفـة ، الله تعـالى قـدم ذكـر خلق «المـوت» على خلق «الحياة» يمكن أن تكون إحدى جهات هـذا التقديم بيـان غايـة الخلق ، يعني أيها الإنسان ، أنت لست محدوداً ومحصوراً في هذه المعيشة والحياة الدنيـوية وكل عمل تأتي به في هذا العالم من خيـر أو شر فـالإثابـة عليه والمعـاقبة غيـر ميسـورة في هذا العـالم وكمثال على ذلـك لو أن شخصـاً تلوثت يـداه بـدمـاء المئـات من الناس الأبـرياء فكيف يمكن أن ينـال جزاء قتله . في هـذا العالم يمكن أن ينـال قصاص قتـلٍ واحد. فبنـاء عليـه العقـل الإنسـاني يحكم بلزوم وجود عالم آخر ليتيسر فيه نيل العقوبة المناسبة على عمله الفجيـع . والانتقال إلى ذلك العالم يتم عبر قنطرة الموت .

وكذلك في جهة أعمال الخير إذ الثواب الواقعي غير ممكن الحصول في

---

(١) حول العدم والقضايا التي مفادها عدمي يوجد مطالب ومسائل لا فـرصة لـذكرهـا هنا ، وعلى الخصـوص يوجـد مطالب من القـائد الكبيـر للثورة الإسـلامية (مـد ظله العالي) وإنشاء الله تنشر ضمن رسالة مستقلة .

هذا العالم (بل كلما فرضناه ثواباً لا يكون ثواباً واقعياً لعمل الخير هذا في الدنيا ما عدا تلك الزاوية من الثواب) ويجب أن يتحقق في عالم أرقى .

بناء عليه يصير معنى الآية بالشكل التالي : الله تعالى خلق انتقال الإنسان من عالم الملك (الدنيا) إلى عالم الملكوت (العالم الأعلى) يعني الموت . وفي الحقيقة فإن ظاهر الإنسان وبدنه الذي له جهات تتناسب مع عالم الدنيا يبقى مع الموت في الدنيا ، لكن باطن الإنسان ونفسه الذي له تناسق مع عالم الملكوت ينتقل مع الموت إلى ذلك العالم ، وكذلك أيضاً خلق الحياة (وهذه الدنيا زاوية من هذه الحياة) ثم يقول : ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ .

ما هو معنى الابتلاء في هذه الآية ؟[1] .

في العادة الإنسان يمتحن إذا كان جاهلاً بالنسبة لموضوع ما ويريد أن يكسب المعرفة حوله . فلأي سبب يمتحن الله الذي هو عالم السر والخفيات وله الإطلاع على كل شيء ؟ .

جهة الامتحان الإلهي هو أن الناس دوماً يجب أن يكونوا مورد الامتحان والاختبار كما يقول الله تعالى :

﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ [2] .

---

(١) ينبغي الإلتفات إلى أنه قد ذكر في القرآن أنواعاً أقساماً للامتحانات للإنسان والمجتمع الإنساني وحتى امتحان الناس ، كما يقول الله تعالى : ﴿يبلوكم بعضكم ببعض﴾ سورة محمد آية ٤ . والخلاصة أنه ذكر في القرآن أكثر من عشرين قسماً تلويحاً أو تصريحاً وأحصيناها في الحواشي على الحديث الخامس عشر من الأربعين حديث . فليراجع .

(١) سورة العنكبوت ، آية : ٢ .

(٢)
﴿... وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ...﴾ سورة البقرة، آية: ١٢٤.
﴿... وليبلى المؤمنين فيه بلاءً حسناً ...﴾ سورة الأنفال، آية: ١٧.
﴿... أولئك الذي امتحن الله قلوبهم للتقوى ...﴾ سورة الحجرات، آية: ٣.

بناء عليه فعلى ملاك ! أحسنية العمل وأفضليته يجب أن يعلم أفضل الأفراد ، طبعاً هذا العلم في نفسه ولهم لا لله تعالى .

امتحان الإنسان مثل جزاء عمله وثوابه لا يمكن أن يتم بشكل كامل في هذه الدنيا . وما يقع في هذه الدنيا إنما هو اختبار نسبي والاختبار الحقيقي يحصل في العالم الباقي . في الواقع العمل الذي يقوم به الإنسان في الدنيا محاسبته الدقيقة ومحاكمته الحقيقية موكولة لذلك العالم الآخر وهذه المحاكمة والمحاسبة بنفسها اختبار آخر . وبعبارة أخرى أنه في هذه الدنيا يحصل الاختبار الذي هو ذلك العمل والآثار المترتبة عليه . وكذلك في العالم الآخر يوجد اختبار وهو هذه المحاسبة والمحاكمة للعمل . طبعاً في ذلك العالم الآخر لا محل للعمل .

ربما كان السبب الآخر لتقدم الموت على الحياة في الآية مورد البحث إنه الاختبار ومعلومية أحسن الأفراد إنما يتحقق بواسطة الموت أي الانتقال في هذه الدنيا . ومن الواضح أن عنوان الاختبار يشمل جميع هذه المراتب والمراحل .

يقول الإمام الصادق (ع) في ذيل الآية : الهدف من الامتحان ليس معرفة أكثركم عملاً بل أصوبكم عملاً . ثم يقول إن الإصابة الحقة هي الخشية لله والنية الصادقة والعمل الصالح .

قبل توضيح الكلام القيم للإمام الصادق (ع) من المناسب أن ننقل هذه الرواية عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) حول هذه الآية الشريفة لنزين بها هذه المطالب .

سأل أبو قتادة النبي محمد (ص) حول معنى «أيكم أحسن عملاً» فأجاب (ص) :

«أيكم أحسن عقلاً ثم قال : أتمكم عقلاً وأشدكم لله خوفاً وأحسنكم

فيما أمر الله عز وجل به ونهى عنه نظراً وإن كان أقلكم تطوعاً»[1] .

وقال أيضاً في رواية أخرى :

«أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله» .

وروي عن الإمام الرضا (ع) في تفسير الآية الكريمة ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ أنه قال :

إنه عز وجل خلق خلقه ليبلوهم بتكليف طاعته وعبادته لا على سبيل الامتحان والتجربة لأنه لم يزل عليماً بكل شيء[2] .

طبعاً هنا يوجد مطالب كثيرة لكن نكتفي بهذا المقدار اختصاراً .

الإمام الصادق (ع) في تتمة الحديث يقول : وإنما الإصابة . .

إصابة العمل لها عدة علامات ومعايير :

١ ـ الخشية من الله : عمل الإنسان يكون مقترناً بالصواب في حال كون الإنسان العامل شاعراً بالخشية في قلبه والخوف . والفرق بين الخشية والخوف سنبينه في مباحث أخرى .

٢ ـ النية الصادقة : الملاك الثاني في صحة العمل ، النية الصادقة التي هي العمود الأكبر والأساسي في العمل[3] وبخصوص النية يلزم أن نبين بعض

---

(١) مجمع البيان ذيل هذه الآية الشريفة ج ١٠ ص ٣٢٢ المطبعة الإسلامية ، محشى بحواشي ونظريات العلامة الشعراني .

(٢) بحار الأنوار ج ٤ ص ٨٠ .

(٣) في ضمن أدعية أيام شهر رمضان المبارك : «وارزقني (وارزقنا) الحج والعمرة والاجتهاد (والجد) والقوة والنشاط والإنابة والتوبة (والتوفيق) والقربة والخير المقبول والرغبة والرهبة والتضرع والخشوع والرقة والنية الصادقة وصدق اللسان والوجل منك والرجاء لك . . الخ» . وكذلك في قسم من دعاء المهدي (عج) هذا اللفظ : وصدق النية من سياق هذه الكلمات يعلم بوضوح محل النية في أوصاف الإنسان وملكاته الباطنية وكذلك في اتصاف النية بصفة الصدق والإصابة .

المطالب في المباحث الآتية .

٣ ـ «الخشيـة» أو «الحسنـة» حسب اختـلاف النسـخ . حيث أن من النسخة الأصلية «الخشية» فيستفاد حينئذ أن النية الصادقة واقعة بين خشيتين . يعني لأجل تحقق صواب العمل يجب أن يكون للشخص العامل قبل النية وبعدها خشية وخوف من الله . وقد جُعلت النية محفوفة بخشيتين ومقرونة بهما .

وإذا كان في بعض النسخ «حسنة» فالمراد من الحسنة العمل الحسن وإتيانه مستلزم للخشية من الله والنية الصادقة . وطبعاً فإن هذا العنوان فيه إشارة إلى هذا المعنى من أن العمل الصالح توأم وقرين مع النية الصادقة المقرونة بالخشية . والعمل الحسن هو عمل تتجلى فيه روح الخشية .

في هذا القسم من البحث نكتفي بهذا المقدار وحيث انجرّ البحث إلى الحديث حول الموت وبعض أوصاف وحالات وملكات الإنسان (التي هي الحقيقة تشخصات الإنسان وتعيناته) مثل الخشية والنية الصادقة وما أشبه فمن المناسب أن نشير في البحوث الآتية إلى محور هذه التعينات (التي هي في الواقع نفس الإنسان) وكذلك علاقة النفس والموت .

علاقة الموت والنفس :

نذكر هنا مقدمة صغيرة حول العلاقة بين هذين العنوانين ، حيث أن تفصيل ذلك وشرحه سيكون في مجال آخر .

في القرآن الكريم وأحاديث المعصومين (ع) كلما أتى الكلام حول البدن والجسم والروابط الظاهرية للإنسان تستعمل كلمة «بشر» وتستعمل كلمة «نفس» حيث يكون واقع الإنسان وشخصيته الحقيقية محلاً للنظر .

كمثال على ذلك نقل في القرآن الكريم عن لسان الكافرين في خطابهم لرسل الله أنهم قالوا :

﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾[1] .

إذ «البشر» من «البشرة» وهي بمعنى الجلد والقشر وتناسب الروابط واللوازم الظاهرية .

الكفار لا يعلمون شيئاً من حقيقة الإنسان أكثر من الروابط الظاهرية ، ولا يأخذون في نظرهم في هذا المقام حقيقة أعلى من ذلك . لذا كانوا ينكرون أن أنبياء الله مثلهم وكان أنبياء الله في التعاطي معهم يجيبونهم بحسب فهمهم ، مثلاً النبي محمد (ص) يقول بوحي من الله :

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾[2] .

طبعاً في التعبير بـ «يوحى» إشارة إلى امتياز الأنبياء والرسل حيث أنه بالتدقيق في عنوان الوحي نستفاد كل أو أكثر آثار النبوة والرسالة .

حيث أن رسل الله مكلفين بمخاطبة الناس بقدر إدراكهم وفهمهم بل حتى بألفاظهم وتعبيراتهم :

إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم[3] .
﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾[4] .

في لسان القرآن والأحاديث كان يستعمل عنوان «نفس» عند ذكر الموضوعات المتعلقة بروح الشخصية الآدمية . طبعاً النفس هي هذه الروح الآدمية التي تبنى بالنيات والأعمال الصادرة منها . عُبّر عن روح الشخصية بالنفس حيث النفس تشخصٌ وتعينٌ للروح ولها عينية مع الروح .

حيث أن الروح جذر حياتي في حياة الإنسان ، ويستفاد هذا المعنى من

---

(١) سورة يس ، آية : ١٥ .
(٢) سورة فصلت، آية : ٦ .
(٣) أصول الكافي كتاب العقل والجهل حديث ١٥ .
(٤) سورة السجدة ، آية : ٩ .

آيات النفخ :

﴿ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾[1] .

وهذا الجذر الحياتي الذي قد تشخص ، أخذ عنوان النفس من ذلك التشخص والتعين بناء على هذا النفس الإنسانية هذه الروح الإنسانية القرينة مع التعينات بل لها عينية معها .

وبنحو الخلاصة نشير إلى أن أعمال الإنسان ونياته أرضية لتشخص نفس الإنسان وتستطيع أن تصير نفساً مطمئنة بالأعمال الحسنة كما تشخص النفس الأمارة بالسوء بالأعمال السيئة أو كذلك النفس اللوامة . . طبعاً هذا المطلب يحتاج للتشريح أكثر وقد ذكرنا في بعض الدروس ، ويستفاد من هذه الأصول أسرار عن حقيقة الإنسان (مثل التجرد والتكامل ومراتبه ودرجاته . .) .

في آيات من القرآن الكريم التي تتحدث عن الموت تستعمل عموماً لفظ «النفس» لا «البشر» كنموذج في سورة الزمر آية ٤٢ يقول :

﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾

لفظ «توفى» و «موت» في الآية أعلاه بمعنى أخذ الشيء كاملاً ، فيكون معنى هذه الآية أن الله تعالى يأخذ النفس التي هي روح الشخصية الحاصلة بشكل كامل سواء كانت حال هذه الروح شخصية إنسانية وإلهية أو شخصية شيطانية بلا تفاوت من هذه الجهة .

في سورة العنكبوت آية ٣٦ يقول :

﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ .

بناء على هذا الموت أمر يرتبط بالنفس وليس فقط بالجسم المادي .

---

(١) سورة إبراهيم ، آية : ٤ .

والنكتة الأخرى التي يمكن استفادتها من هـذه الآية أن النفس الإنسـانية في حال الموت تذوق طعم الموت فالنفس إذاً حية وفي تلك الحـال لها قـدرة على الإستيعاب والفهم والإدراك . وهذا الأمر يؤيد المطلب السابق الـذكر من أن الموت أرضية لإحدى المراتب العليا الإنسانية التي ينتقل بواسطته إلى عالم آخر .

نموذج آخر :

﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت . إن الله عليم خبير﴾[1] .

وآية أخرى :

﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾[2] .

بناء عليه الموت بالنسبـة للإنسـان كمال ، كـلام الإمام الحسين (ع) في يوم عاشوراء أيضاً بيان لهذا المطلب :

إني لا أرى الموت إلا سعادة .

في المجموعة الشريفة من فروع الكافي ،الـذي هو أحد المنابع الأصلية للمباحث الفقهية في كتـاب «الجنائـز» باب علل المـوت نقل أحـاديثاً تحتـوي على أهمية في هذا المجال ولهذا من المناسب نقلها :

الحديث الأول : علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن فضال عمن حدثه عن سعـد بن طريف عن أبي جعفـر (عليـه السـلام) قـال : كـان النـاس يعتبـطون اعتباطاً فلما كان زمان إبراهيم (ع) قـال : يا رب اجعـل للموت علة يؤجـر بها الميت ويسلّى بها المصاب ، قال : فأنزل الله عز وجل السوم وهو البرسـام ثم أنزل بعده الداء [3].

---

(١) سورة لقمان ، آية : ٣٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٣٩ .

(٣) فروع الكافي ج ٣ ص ١١١ .

يستفاد من هذه الرواية أنه بين الناس وحتى أقارب الشخص ونفسه يهيأون الأرضية للموت أيضاً حتى تكتمل مقدمات هذا السفر ، وتتبخر السيئات ، بل تتدارك أيضاً بالوصية .

الحديث الثاني في هذا الباب أيضاً له مضمون مشابه للحديث الأول لكن عباراته تختلف عنه قليلاً .

الحديث الثالث : محمد عن أحمد بن محمد بن إسماعيل عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : سمعته يقول : الحمّى رائد الموت وهو سجن الله في الأرض وهو حظ المؤمن من النار .

الحديث الرابع : علي بن إبراهيم عن أبيه عن أبي فضال عن محمد بن حصين عن محمد بن الفضل عن عبدالرحمن بن يزيد عن أبي عبدالله (ع) قال : قال رسول الله (ص) :

مات داوود النبي يوم السبت مفجوءً فأطلقه الطير بأجنحتها ومات موسى كليم الله (ع) في التيه فصاح صائح من السماء : مات موسى وأي نفس لا تموت ؟ .

أهمية النية وتأثيرها :

أساس وعامود العمل الصحيح النية الصادقة وهي أهم دعامة للعمل وحتى أنها أيضاً أعلى من العمل وحديث : «نية المؤمن خير من عمله» ناظر لهذا المعنى .

حيث أن البحث حول النية متقدم بالنسبة للمباحث الأخرى المذكورة في الحديث مثل «الخشية» و «الإصابة» و «الحسنة» لذا نبدأ بتحليله تحليلاً إجمالياً ومضغوطاً مع الاستفادة من الآيات والروايات . طبعاً نذكر بعض مباحث النية التي لها ضرورة أكثر بالنسبة لبحثنا الفعلي وهو العلاقة مع الإخلاص .

عمل الإنسان ليس مثل شغل الآلة التي لها جنبة ميكانيكية وفيزيائية

صرفة بل عمل الإنسان يتحقق ويتشكل في مبادىء دقيقة وظريفة جداً .

كل عمل له عدة أنواع من المبادىء : ١ ـ المبادىء العلمية ٢ ـ المبادىء الإرادية يعني قبل أن يتحقق العمل في الخارج يجب أن يُنجز عدة مراحل مقدمية ، (حيث أن النية مشتقة من مادة نوى ، لذا هي مثل الوجود شيء خفي غير مرئي ، لكن في نفس الوقت لها مبدأ ومنشأ بالقوة يكون أرضية للمراحل اللاحقة) .

أولاً يجب أن تتحقق المبادىء العلمية لذلك العمل في ذهن الإنسان وباطنه ، وبعد ذلك تحصل إرادة عند الإنسان لإتيان ذلك الفعل . ومع حصول الإرادة أيضاً يلزم وجود هدف للفعل والعمل ، وهذا الذي يعبر عنه بالنية . ولها في أعمال الإنسان دور مهم ، ويبتني عليها في الفقه صحة وبطلان وفساد الأفعال في العبادات وغيرها ، حيث أن الإرادة توزن مع الهدف في صحة العمل وفساده ، بل يمكن القول بأن لها علاقة في كيفية وحالة ونحو تحقق الإرادة ، لذا صحة العمل وفساده تتوقف على النية . إذ أن النية مرتبطة بكيفية الإرادة ونحوها بل هي تحدد أهداف الأعمال ، وعلى هذا الأساس روح العمل هي النية .

كما أن روح الإنسان مبدأ الحياة ومنشأ لكل الآثار الإنسانية كذلك النية لها نفس الحالة بالنسبة للعمل . حتى شخصية الإنسان أيضاً تُبنى بواسطة نواياه . روح الإنسان التي هي منشأ كل المعاملات والأمور الإنسانية لا تعين لها في البدء مثلها كالماء قبل أن يسكب في الأواني لا شكل ولا حالة خاصة له ويمكن إعطاؤه الشكل الذي نريد . (طبعاً في هذا المثال ليس المراد شكل الظرف الأولي للماء ، أو مثل قطعة المعجون التي لها قابلية أشكال متنوعة ، طبعاً في هذا المثل أيضاً ليس الملحوظ الشكل الأولي لتلك القطعة) .

تحصيل شخصية (تشخص) الروح بواسطة النيات . الروح الإنسانية تظهر شخصيتها بواسطة الأعمال (يعني العمل المقترن مع النية) ويعبر عن هذه الروح المتشخصة بالنفس . أعمال الخير تصنع النفس الملكوتية وأعمال الشر

تصنع النفس الشيطانية . يقول القرآن الكريم في هذا المجال :

﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء﴾[1] .

يعني في يوم القيامة كل نفس تحصل آثار أعمالها الحسنة والسيئة بصورة النفس المطمئنة أو اللوامة أو الأمارة أو. . .

بناء على هذا حيث أن النية تصنع العمل ، والعمل يعطي النفس الإنسانية شكلها فيكون في الواقع للنية الدور الأول في بناء شخصية الإنسان وتعين الروح وهذا أثره أهم من نفس العمل . وأكثر من هذا أن هذه النية هي التي تهب النفس لياقة الخلود في الجنة أو أرضيته الخلود في جهنم ، الخلود في الجنة أو جهنم ثمرة وظهور لنية الإنسان إذ الجنة والنار نتيجة عمل الإنسان والعمل أيضاً هو التجلي العيني للنية بناء على هذا النية هي أرضية الوصول إلى الجنة وتحصيل النعم الخالدة والحياة الدائمة فيها أو الذهاب إلى النار والابتلاء بالعذاب الدائم .

يقول الإمام الصادق (ع) في رواية أخرى من أصول الكافي كتاب الإيمان والكفر باب النية الحديث الخامس يقول في هذا المجال :

إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلّدوا فيها أن يعصوا الله أبداً ، وإنّما خلّد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً فبالنيات خلّد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالى : **﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾** قال : على نيته .

بناء على هذا ، النية تشكل أساس روح العمل ، وإذا كانت النية صحيحة فمهما كان العمل صغيراً من ناحية المقدار والأمور الظاهرية وغير ملتفت إليه فهو مقبول عند الله بسبب صحة النية ، الإمام الصادق (ع) قال في جواب سائل سأله : «ما حكم الصلاة في الكنيسة (معبد النصارى) والبِيَع

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٢٨ .

(معبد اليهود)» «إنه لا إشكال إذ كل يعمل حسب نيته والمكان وأمثال ذلك لا دخل لها في ذلك» .

وأصل هذه الرواية في الكتاب الشريف «من لا يحضره الفقيه» بهذا الشكل :

قال صالح بن حكم : سُئل الصادق (ع) عن الصلاة في البيع والكنائس .

فقال (ع) : صل فيها . قلت : أصلي فيها وإن كانوا يصلون فيها ؟

قال (ع) ؛ نعم ، أما تقرأ القرآن ، ﴿**قل كل يعمل على شاكلته**﴾ .

﴿**فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً**﴾ ، صل على القبلة ـ ودعهم[1] .

خلاصة الكلام أن النية أساس وأصل العمل وصحة العمل تتوقف على النية الصادقة . وعلى أساس رواية أخرى في تفسير هذه الآية الشريفة منقولة عن الإمام الرضا (ع) يستفاد أن نية إتيان عمل الخير تكون سبباً لتسجيل ذلك العمل في كتاب الإنسان ويعطى ثواب هذا العمل يوم القيامة .

وهناك حديث في كتاب وسائل الشيعة ، الباب المذكور عن الإمام علي (ع) ورد بهذا الشكل :

عن أبي الحسن (ع) قال رسول الله (ص) : لا قول إلا بعمل ولا قول ولا عمل إلا بنية .

في هذا الكلام أيضاً جعل الإمام (ع) أيضاً معيار صحة القول والعمل وفسادهما النية .

الحديث التاسع من الباب المذكور من المصدر السابق أيضاً يؤيد هذا المطلب .

---

(١) في رواية مشابهة في تهذيب الأحكام يضيف : راع المكان الأنظف .

يقول المعصوم (ع) :

«لا حسب إلا بالتواضع ولا كرم إلا بالتقوى ولا عمل إلا بالنية» .

وباختصار إن ركن العمل الأصلي هو النية وهي السبب في بناء ذات الإنسان لأنها المنشأ والسبب لوقوع العمل ، العمل المشتمل على النية يعطي الشخصية للذات البشرية ثم هذه الذات التي صنعت بواسطة العمل تقع محلاً للامتحان والاختبار الإلهي .

بناء على هذا النية لها دور بناء في كل مراحل حياة الإنسان وحتى استمرار حياة الإنسان متوقف عليها وأيضاً تبني عليها كونه عاملاً لأعمال الخير أو الشر فيما بعد وحتى تكون سبباً لخلوص النية في الأعمال الأخرى .

وكل عمل بالنسبة للنية له علاقة التعاقب وبالنسبة للأعمال التالية له علاقة تكاملية وعلى هذا الأساس النيات والأعمال بالنسبة لبعضها لها علاقة التعاقب والتكامل .

علاقة النية والعمل :

كما قد بينا فإن الركن الأصلي لكل عمل هو النية ، بشكل أنه في نظر الشرع الإسلامي المقدس لا يعتبر الفعل بدون النية عملاً ، والنية في المبادىء العلمية والإرادية لكل عمل ، وعلوم الإنسان مؤثرة في نيته ، وعلى هذا الأساس النية تعطي للعمل وجهته وفي الحقيقة فإن النيات تعين جهات الأعمال بالاطلاع والإرادة . الصالح ، لا يكون وصفاً لعمل مستقل ومنفصل عن النية ، بل هو وصف للعمل ولمبدأه أيضاً . ومن مبادىء العمل (سواء العلمي أو الإرادي) النية : إذا في الآثار الشرعية من صلاح العمل (أيضاً الصلاح الخارجي للعمل يعني البعد الظاهري له) المقصود هو الجنبه الظاهرية والجوارحية للعمل وكذلك الجنبه الباطنية والداخلية والجوانحية للعمل التي تتعلق بالبعد الداخلي والباطني بل الحقيقي ، ويجب أن يكون سعي الإنسان لتحصيل الصلاح والصحة والصواب في كل الجوانب والأبعاد .

وفي الشريعة كما أن حسن الفعل مطلوب فكذلك حسن الفاعـل ، على هـذا الأسـاس يمكـن أن يكـون للعمـل حسن فعلي لكن ليس لـه حسن فاعلي ، وهذا في الموارد التي يكون العمل صادراً من دون نية مهما كان نفس العمل جيداً ، وأحياناً القضية تكون بالعكس . أما المقصود والمطلوب والـذي يشكل العمل الصـالح فهـو جمع الاثنين الحسن الفعلي والفـاعلي . المقصود من النية هو القصد والهدف من إيقاع الفعل . يعني النـاوي بنيته يقصـد إيجاد العمل . بناء على هذا النية لها المدخلية التامة في وقوع العمل .

فيما يتعلق بتأثيـر النية على العمـل ، وتزايـد آثار النيـة والعمل ، يمكن القول : العمل والنية في علاقتهما ببعضهما لهما حالة الضرب . مثـل العددين الذين نضربهما ببعضهما كلما كان أحـد العددين أكبـر تكون الكميـة الحاصلة من الضرب أكبر أيضاً . كلما كان كلا العددين أكبر فإن حاصل الضرب يـزداد بنسبة أكبر .

بين العمل والنية أيضاً يوجـد هكذا عـلاقة يعني قيمـة كل عمـل يساوي حاصل ضرب وزن العمل وقيمة نيته[١] .

كلما كانت النية أكثر خلوصاً ستكون النتيجة أكبر وكلما كان وزن العمل أيضاً أكبر يكون وزن الثواب الحاصل أكثـر . وعندما يكون الإثنان كبيرين فمن المسلم أن النتيجة تكون مضاعفة بل تصير أضعافاً . لكن لو كان العمل فـاقداً للنية الخالصة يكون مثـل التشبيه الـذي ذكرنـاه من أن النية تكـون مكان صفـر ففي هـذه الصورة لـو كان وزن العمـل ١٠٠ بحسب الفرض فـإنه حين يضـرب بالصفر يعطي صفراً سواء كان العمل مستحباً أو واجباً . وإذا كان قريب العمل

(١) وإذا كان فرض اللانهاية في خلوص النية صحيحاً تصير قيمة العمل قهراً بلا نهاية أيضاً وهنا مسائل لا يتسع لها القول والكتابة . فمع حالـة كهذه يمكن لحـاصل ضـرب النية بالعمل أن يرفع أهمية الأعمال وقيمتها عن أفق الزمان والمكان يضـاعف ثواب العمـل أيضاً بل يصير الثواب فوق الحساب وأعلى من الحد ـ لكن شرط ذلـك هو الإخـلاص والخلوص الحقيقي تحصيل رضا الله تعالى .

مفني ومفسد مثل الرياء والسمعة وأمثال ذلك فنتيجة العمل تكون مفسدة وفي الواقع يكون بلا نتيجة (طبعاً هذه الحالة في الموارد التي يكون الإخلاص شرطاً للعمل) . وكلما كانت النية موجودة لكن لم يتبعها عمل فسيكون حاصل ذلك في الواجبات صفراً .

يعني في مجال الفرائض والأحكام الواجبة لم يتحقق العمل تبعاً للنية فكأن عدد النية (مهما كان كبيراً أيضاً) ضرب بصفر (العدد المتعلق بعدم تحقق العمل) والنتيجة ستكون صفراً .

أما في المستحبات فالمسألة تتفاوت قليلاً . في هذا المجال يوجد روايات كثيرة عن المعصومين (ع) أنه في أعمال الخير الثواب يتعلق بالنية وإن لم يوفق لأداء العمل . وهذا بسبب العناية والتفضل الإلهي على المؤمن ، وكمثال على ذلك كلما نوى المؤمن حين نومه القيام في الليل لأداء نوافل الليل لكنه لم يوفق لذلك فإنه يعطى ثواب صلاة الليل .

بناء على هذا ، اتضح أن للنية دوراً مباشراً في العمل وصحة ومقبولية كل عمل تتوقف على نية العامل .

وعُلم أيضاً أن العمل الصالح هو مجموعة العمل والنية وليس العمل وحده دون النية . من أجل تكميل هذا المطلب . نستحضر بعض الكلمات من الفقهاء وغيرهم بالنسبة لهذا الموضوع .

ذكر مثل هذا المطلب العلامة الحلي (ره) في «النهاية» والشهيد الأول (ره) في «الذكرى» والشيخ البهائي (ره) في «الأربعين» وأشار إليه بعض العلماء الآخرين أيضاً مثل العلامة المجلسي والفيض الكاشاني (قدس الله أسرارهما) في كتبهم لكن نحن ننقل بيان الشيخ البهائي في «الأربعين» :

«الشخص الذي يتصور فعلاً من دون قصد لإيقاعه ، يعني لم يقصد الفعل ، وإنما أوجد مبدأه العلمي فقط ونواه فإطلاق النية هنا على صرف تصور الفعل بدون قصد إيقاعه مجاز إذ أنه في الواقع لا توجد نية . إذ النية

قصد الفعل مع قصد الإيقاع . بعنوان المثال الشخص الذي يتوخى نية رفع حدث النوم[1] .

ثم علم فيما بعد أنه في الواقع كان هناك حدث غير النوم أبطل وضوءه ، ففي فرض أنه كان جاهلاً وتوضأ بنية رفع حدث النوم سهواً متخيلاً حصول الحدث منه ويجب أن يرفعه فوضوءه صحيح . أما إذا كان قد توضأ بهذه النية عمداً مع العلم بعدم صدور حدث النوم منه وأن الذي صدر منه حدث آخر فوضوءه باطل حيث أنه قد لعب بنيته وتصور ما لا واقع له» .

نظير هذا البحث موجود في كتاب « النهاية » للشيخ الطوسي (ره) بهذا الشرح ؟ من أجل رفع الحدث لا يجب تصور حدث خاص ، أما إذا نوى رفع حدث خاص مثل النوم وعلم فيما بعد أنه قد صدر منه حدث النوم واقعاً فوضوءه إجماعاً صحيح ، لكن لو علم خلاف ذلك بأن كان مشخصاً له أنه لم يصدر منه النوم ويجب أن ينوي رفع حدث آخر ففي هذا الفرض إذا كان مشتبهاً فالأقرب صحة وضوءه لأنه لا يشترط قصد رفع حدث معين ، أما في صورة العلم بعدم صدور حدث النوم ومع هذا نوى هذه النية فوضوءه باطل لأنه لعب بنيته» .

ومثل هذا الكلام والحكم ذكره الرافعي من علماء أهل السنة ، حيث يبين علة بطلان العمل المذكور فوق بما يلي :

«حيث أن النية يجب أن تكون مشيرة ومرتبطة بالعمل فإذا نية الخلاف تجعل ذلك العمل بلا قيمة وباطلاً . وببيان آخر كلما تصور الشخص في ذهنه أمراً ونواه وكان خلاف الواقع ومغايراً للعمل الذي يجب أن يأتي به فهو في الواقع لم ينو ، بل هذا حديث النفس وتصور شيء من عنده» .

إلى هنا بحثنا إجمالاً حول أهمية النية واتضح إلى أي مدى النية مؤثرة في عمل الشخص وكم هي حائزة للأهمية .

---

(١) النوم من عوامل إبطال الوضوء ، وفي الاصطلاح يعد من نواقض الوضوء .

أفضلية النية في العمل :

الآن نحاول إثبات أفضلية النية بالنسبة للعمل من خلال الاستفادة من إحدى الروايات . وهي التي نقلها المرحوم ثقة الإسلام الكليني في أصول الكافي في كتاب الإيمان والكفر باب النية بهذا النص :

«نية المؤمن خير من عمله» .

ونظير هذه العبارة ومشابهها معنى ذلك القسم من الرواية التي نقلناها في ابتداء هذه المجموعة من المباحث وهي :

«والنية أفضل من العمل» .

وقد ذكر علماء الإسلام أكثر من عشرين وجهاً في بيان مفهوم هذا الحديث وتفسيره .

ونحن قبل ذكر أهم الوجوه المذكورة نتعرض لبيان بعض النكات لتوضيح المطلب :

١ ـ يجب الالتفات إلى أن ما يقوله البعض من أنه : «يجب أن يكون قلب الإنسان طاهراً ونيته حسنة وهذا يكفي فلا حاجة للعمل» . هذا الكلام غير صحيح وليس لهم دليل مقنع لا من العقل ولا من النصوص الإسلامية هذا الكلام حديث نفس وتصور ساذج رسمه البعض لأنفسهم . الحديث الذي مر آنفاً أيضاً لا يؤيد بأي وجه هذا النمط من التفكير إذ نية المؤمن القاصد للعمل أفضل من عمله لا صرف نيته . وفي مورد الكافر أيضاً تلك النية التي لها نسبة بقصد العمل أسوأ من نفس العمل .

٢ ـ هذه الرواية التي تبين أفضلية قيمة النية بالنسبة للعمل شاهدها ومؤيدها رواية «إنما خلد أهل النار. . . » التي نقلنا أكثرها في مبحث أهمية النية وتأثيرها إذ مجال النية أوسع بكثير من العمل والإنسان يستطيع بتخليص نيته أن يصل في طريقه إلى ميدان أوسع . لكن العمل بسبب محدوديته الكبيرة لا يستطيع أن يعطي سعة إلا بمقدار سعة الذهن .

٣ ـ تلك المجموعة من الآيات والروايات التي ذكر فيها العمل على أساس أنه معيار التقييم مثل رواية «أفضل الأعمال أحمزها» ليس ناظراً إلى الأعمال الفاقدة للنية على الإطلاق . مثل هذا النحو من النصوص المقصود من العمل هو المجموعة الكاملة من النية بالإضافة إلى العمل ، وكمثال على ذلك يقول القرآن الكريم :

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾[1] .

هذه الآية الشريفة تبين أن كل عمل يشتمل على نية سواء كان حسناً فهو مورد للثواب أو سيئاً فهو مورد للعقاب ، ودليل ذلك هو نسبة العمل إلى العامل في هذه الآية ، والآية **﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾** مع تفسير الإمام الصادق (ع) حيث قال : «أي على نيته» أفضل دليل على هذا المطلب .

علاوة على هذا فالدلائل التي سنذكرها في المستقبل دالة على أن النيات مورد للمؤاخذة والعفو سواء أدت إلى العمل أو لم تؤد ، تثبت المطلب مورد للبحث إجمالاً .

٤ ـ حديث «أفضل الأعمال أحمزها» في الواقع مكمل لحديث «نية المؤمن خير من عمله» إذ النية لها قيمة وأهمية إذا كان هناك قصد للعمل وإلا فهو تصور وحديث نفس لا أكثر ، وبهذا البيان كلما كان العمل أصعب وأكثر مشقة فالنية الخالصة بالنسبة لذلك العمل أصعب . وببيان آخر العمل الأشق الذي نيته تحتاج لصعوبة أكثر لكي تتحقق . وصعوبة النية تتعلق بخلوصها . بناء عليه أفضل الأعمال العمل الذي نيته أشق ، بمعنى أن نيته الخالصة نية العمل الصعب نسبة للعمل السهل أصعب . على نحو المثال الخدمة في ظروف صعبة أفضل وأجرها أكثر إذ تخليص النية لكي تأتي بالوظيفة في الظروف الصعبة مع كمال الخلوص والصفاء أشق بمراتب من النية المطلوبة لإنفاق درهم وأمثال ذلك .

---

(١) سورة الزلزلة ، آيتان : ٧ و ٨ .

والآن نأتي إلى بيان وجوه المعاني والتفاسير لحديث «نية المؤمن خير من عمله» ومن بين الوجوه التي ذكرت ثلاثة وجوه مختلفة ترجع إليها أيضاً غالب الوجوه الأخرى ، (طبعاً ذكر هذه الوجوه الثلاثة ليس بمعنى أنه يوجد إشكال في هذه التوجيهات) وفي الأثناء نبين نظرة في تتمة الوجه الثالث (في الكتاب الفقهي «كشف الغطاء» ذكر وجوهاً كثيرة بشكل مختصر) .

١ ـ كلمة «خير» التي هي صفة تفضيل بمعنى «أفضل» في هذا الحديث بمعنى الصفة المطلقة يعني قد عمل عملاً جيداً وحرف «من» أيضاً تبعيضية بناء عليه يكون معنى الحديث نية البعض من أعمال المؤمن حسنة .

٢ ـ نظراً لكون نية بعض الأعمال مثل الجهاد والحج وأمثالها بالنسبة إلى نية الأعمال السهلة صعبة جداً لذلك في هذا النوع من الأعمال نية المؤمن أفضل وأكثر قيمة من نفس العمل .

هذان الوجهان وقسم من الوجوه الأخرى التي صرفنا النظر عن ذكرها من الوجوه الساذجة التي لا تنسجم مع سياق الحديث .

٣ ـ النية أمر قلبي وروحي وتأثيرها في قلب الإنسان وبناء نفسه كبير جداً ، لكن العمل يتعلق بأعضاء الإنسان وجوارحه ، العمل بدون نية كالجسم بلا روح ، كمثال على ذلك السجدة التي هي عمل جوارحي ، عندما تكون خالية من روح الخشوع والخضوع والنية الخالصة تكون عملاً بلا قيمة ولا تأثير لها في علو نفس الإنسان وتعاليه . أما إذا كانت السجدة ترافقها روح الخضوع والخشوع فإنه يكون لها تأثير مباشر وبنّاء على قلب الإنسان ، وتأخذ الإنسان إلى المقام العالي للعبودية لله ، وهذا الكلام في مورد الكافر ونياته أيضاً في طرف العكس صادق عينا ، يعني العمل الذي يصدر من الكافر بلا نية تأثيره على روحه وذاته ليس كبيراً بينما لو نوى الكافر عمل الشر مع التصميم والعناد فحتى لو لم يوفق لإنجازه فإن تأثيره عليه بالقياس إلى العمل الذي يؤتى بلا قصد ونية كبير جداً .

يمكن أن يسأل إنه أنتم الذي تقولون روح العمل هي نيته والعمل الذي

هو مورد قبول للشارع المقدس هو الذي يكون مع الروح ويؤتى بـه عن خلوص قلب ، فماذا تقولـون في هذا المـورد الذي يقـول فيه القـرآن الكريم : ﴿**أقم الصلاة لذكري**﴾[1] ، يعني أن المطلوب للشارع المقدس هو الإتيان بـالصلاة طبق الآداب المعينة لأجل تذكر الله .

في الجـواب على هــذا السؤال يجب القــول : ليس المـطلوب كمـا تفكرون ، إن الله تعالى يقول في آية أخرى :

﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[2].

من المسلم أن صرف فعل الصـلاة لم يكن هو المـراد بهذه الآيـة إذ مع الالتفات إلى هذه الآية يصير المعنى : أقم الصلاة لذكري ، هذه الصلاة التي تجلب السكـون هديـة للقلب . ذكر واستحضـار اسم الله لا ينحصـر بـالـذكـر اللفظي ، ما دام الذكر لم يجد طريقاً إلى القلب فلن يكون معه سكون قلبي .

بناء عليه المراد ذلك الذكر الذي يكون معه خضوع وخشوع ويترك أثـراً في النفس والـروح . إقامـة الصلاة التي يـزهر ذكـر الله فيها في القلب ، تبني نفس الإنسان وتهبها التعالي وتوصلهـا إلى المكان الـذي تصير مـورداً لخطاب الله تعالى :

﴿**يا أيتها النفس المطمئنة ، إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾[3] .

إذا كان صرف أداء الصلاة وذكر الله كافياً لبناء الـروح فلماذا الكثيـر من الأفـراد الذين بحسب الـظاهر يـأتون بـالكثير من الـذكر والصـلاة ومع هـذا لا يمتلكـون ميزة السكـون القلبي وكل وجـودهم من الأول إلى الآخـر اضـطراب وتشويش خاطر ؟ .

---

(١) سورة طه ، آية : ١٤ .

(٢) سورة الرعد ، آية : ٢٨ .

(٣) سورة الفجر ، آية : ٢٧ إلى ٣٠ .

بناء عليه الصلاة (العبادة) والذكر الذي يكون نتيجته الانقطاع إلى الله هو الذي يكون توأماً مع الروح . وروح العمل النية وروح النية الإخلاص .

في هذا المجال يوجد أحاديث وأقوال وافرة لكن لا نرى حاجة لذكرها .

رصد حيثية الخلود والدوام للإنسان سواء في هذه الدنيا حيث يكون مع الجسم والبدن أو في البرزخ كذلك أو كذلك في العوالم الأخرى هذا الرصد يكون أثراً للنية . ظاهر العمل يتعلق بجسم الإنسان الذي لا بقاء له ، ولكن النية تتعلق بنفس وقلب وروح الإنسان التي هي خالدة وأبدية ولا عدم لها ولا فناء ، إذاً نفس العلاقة التي بين الروح والجسم هي بين النية والعمل .

وكما أن بدن الإنسان يعتمد على روحه ونفسه وأيضاً المعرفة الحسية للإنسان تعتمد على المعرفة العقلية فكذلك أيضاً عمل الإنسان يتوقف مباشرة على نيته وعلاقته بالنية كالتصاق البدن بالروح بل النية أساساً هي مظهر الروح والنفس والعمل كذلك للبدن .

وبعبارة أخرى حيث أن العمل متعلق بالجسم والنية متعلقة بالروح يمكن القول : إن «نية المؤمن خير من عمله» إذاً «روح المؤمن خير من جسمه» وبهذا الدليل كلما يصدر من الجسم لا يكون له فائدة للإنسان ما لم يكن له أثر إيجابي على الروح ، وكلما عمل الإنسان باتجاه رشد روحه ونفسه كان مفيداً له أكثر .

بالنسبة للكافر أيضاً يمكن القول أن روحه أسوأ من جسمه لأن نيته أسوأ من عمله .

خلاصة الكلام أن أحاديث وروايات المعصومين (ع) تجعل نية المؤمن ملاكاً لتمييز الإنسان وتشخيص إيمانه . وبهذا الدليل ثبت أن الأفراد يقاسون ويوزنون بنياتهم .

المجال الواسع للنية :

طريق الخلوص في النية أوسع من العمل ، وهذا المطلب أيضاً قد أشير

إليه في الروايات : طبعاً هذا بالنسبة إلى الإنسان الواصل إلى مقام صدق النية لا لـلإنسان الـذي في بـداية الـطريق . إذ الشخص الـذي وصـل إلى درجـة الخلوص لا يمكن حصول الرياء في نيته بوجه من الـوجوه ، يمكن في العمـل وحين تطبيق تلك النية الصادقة والخـالصة أن يحصـل له نحـو رياء ضعيف في العمل وهذا ليس بعيداً . غـايته أنه إذا كان قد وصل واقعاً إلى درجة الخلوص في النية فالله الكريم يتفضل عليه ويعفو له عن هذا الرياء الضعيف بسبب نيتـه الصادقة .

هذا المطلب مضمون رواية ننقلها عن الإمام الصادق (ع) :

عن زيد الشحام قال : قلت لأبي عبدالله (ع) : إني سمعتك تقول : نية المؤمن خيـر من عمله فكيف تكون النيـة خيراً من العمـل ؟ قال : لأن العمـل ربما كان رياء للمخلوقين والنية خـالصة لـرب العالمين فيعـطي عز وجـل على النية ما لا يعطي على العمل .

بهذا البيان يتضـح بشكل كـامل أنـه لا يوجـد أي تعارض بين الـروايات مـورد البحث وبين تلك المجموعـة من الأحاديث الـدالـة على بـطلان العمـل بالرياء . إذ تلك الروايـات تحكم ببطلان العمـل الصادر على أسـاس نية فيهـا رياء وهذه الرواية تقول : إنه حتى لو ظهر فيه نحو ضعيف من الرياء فيمكن أن يكون مورداً لعفو الله وسماحه من باب فضله وكرمه بشـرط أن يكون نـاشئاً عن نية خالصة .

ويتضح ذلك بالالتفات إلى ما قاله البعض من أن عدم الرياء شـرط في قبول العمل لا في صحته ومن الممكن على هذا الأساس أن يكون كلام السيد المرتضى (ره) في كتاب الانتصار الذي أشـار له في ضمن مبحث الـوضوء أن يكـون قابـلاً للتفسير (طبعـاً استفادوا من كـلامه أن عـدم الـريـاء شـرط قبـول العمل) .

لكن يجب العلم أنـه أولاً لا دلالة مبـاشرة لكـلامـه على هـذا المـطلب ويمكن أن يكـون ذكره بعنـوان المثال وثـانياً يكـون قابـلاً للتفسيـر ببيـان هـذا

الحديث ومشابهه ثالثاً ذكر ذلك أيضاً بـذلك الفـرض المذكـور بعنوان ضميمـة النية . وتفصيل ذلك ذكرناه في ضمن أحاديث الرياء .

من مظاهر النية الصادقة الثواب الإلهي :

كما بيّنا فـإن معيار وزن الأفـراد هو نيـاتهم . ومع أنـه لا يمكن بسهولـة تقييم الناس في هذه الـدنيا حسب نيـاتهم لكن القيام بـذلك في العـالم الآخر خير . حيث أن النية هي المنشأ الأصلي للعمل والعمـل هو الـذي يبني الذات والباطن الإنساني لذا فإن متعلق الثواب هو هـذه النية . وحيث أن النيـة (طبعاً النية الصادقة) مؤثرة أيضـاً في إصلاح النفس حتى لـو لم يوفق الإنسـان للعمل فإنه أحياناً (من باب التفضل الإلهي) يكون مستحقاً لتعلق الثواب .

في كتاب وسائـل الشيعة أبـواب مقدمـة العبادات البـاب السادس تحت عنوان «النية والعزم على عمل الخير» نقل ما يلي :

إن العبد المؤمن الفقير ليقول : يا رب ارزقني حتى أفعل كذا وكـذا من البر ووجوه الخير فإذا علم الله ذلك منه بصدق النية كتب الله من الأجر مثل مـا يكتب له لو عمل .

بناء على هذا النية الصادقة التي تكون حاكية عن صدق وصفاء صـاحبها والمنبعثة من أعماق وجوده تكون متعلقاً للثواب هذه النية الصادقة التي لها هذا الأثر المناسب في بناء نفس الإنسان لذا فإن الله تعـالى بفضله وكرمـه خصص هذه النية بثواب العمل .

حديث آخر في هذا المجال ننقله من «علل الشرائع» :

قـال أبو عبـدالله (عليه السـلام) : إن العبـد لينـوي من نهـاره أن يصلي بالليل فتغلبـه عينه فينـام ، فيثبت الله له صـلاته ويكتب نَفَسَـه تسبيحاً ويجعـل نومه صدقة .

وعن أبي الحسن الرضا (ع) قال : إذا كان يوم القيامة أوقف المؤمن بين يديه فيكون هو الذي يتولى فيعرض عليه عمله فينظر في صحيفته فأول ما يرى

سيئاته فيتغير لذلك لونه وترتعد فرائصه وتفزع نفسه ثم يرى حسناته فتقر عينه وتسر نفسه وتفرح روحه ثم ينظر إلى ما أعطاه الله في الثواب فيشتد فرحه ثم يقول الله عز وجل للملائكة : هلموا بالصحن التي فيها الأعمال التي لم يعملوها . قال : فيقرأها فيقولون : وعزتك إنا لنعلم أنا لم نعمل منها شيئاً فيقول : صدقتم نويتموها فكتبناها لكم ثم يثابون عليها .

قياس الذات والذاتيات المكتسبة للإنسان على أساس نيته وعمله :

حيث أن النية هي الباعث على وقوع العمل ، والعمل مع النية يصنع شخصية الإنسان ويعطي لروحه الشخصية الإلهية أو الشيطانية. إذاً قياس النية في الواقع قياس الذات والذاتيات للإنسان وبعبارة أخرى قياس الأثر بقياس المؤثر يعني معرفة ذاتيات الناس إنما تحصل بمعرفة نياتهم .

مع الالتفات لهذه التوضيحات ، فآية ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ بمعنى أنه : ذاتياتكم التي تنبع من نياتكم ، تكون مورداً للاختبار ومن هنا يعلم السر في أن الإمام الصادق (ع) بعد أن ذكر هذا المقطع من الآية الشريفة استشهد بذلك القسم من آية الشاكلة والنية .

والرواية الشريفة المعروفة والمنقولة عن رسول الله (ص) أنه قال : «يوم يحشر الناس على نياتهم» أيضاً فيها إشارة إلى هذا المطلب ، إذ الحشر يوم القيامة ليس حشراً ظاهرياً ونشرياً بل تجمع كل الحقائق الداخلية والذاتية للناس يوم القيامة . يعني الحشر يوم القيامة حشر لذاتيات الناس ونياتهم الحاكية عن ذاتياتهم . وعلى هذا الأساس فالنيات هي معيار حشر الناس ، والهدف من الحشر أيضاً وزن الناس ومحاكمتهم ومحاسبتهم .

يقول الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦ .

وكذلك يقول في مكان آخر :

﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء﴾[1] .

في الآية السابقة يقول الله تعالى : إن ما يكسبه كل شخص هو الذي يشكل شخصيته وفي يوم القيامة هذه الشخصية هي التي تظهر . وفي الآية الأخيرة يوجد إشارة إلى حضور أعمال الإنسان في القيامة . هاتين مجموعاً يكملان بعضهما . الاكتسابات جزء الصفات الذاتية للإنسان التي حصلت عبر الأعمال وهذه الصفات ستظهر في عالم الحشر والنشر .

﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[2] .

هذا أصل كلي في القرآن الكريم إن الاكتسابات التي يكتسبها الإنسان في هذا العالم التي تحسب أموراً متجذرة في وجوده هي التي تعين الاتجاه الأخروي للإنسان والنيات أيضاً هي عامل أساسي في تكوين ذاتيات الإنسان واكتساباته ، بناء على هذا نيات كل فرد توفر أسباب خلوده في الجنة أو جهنم .

ومن اللازم التنبيه على هذه النكتة من أنه مع أن العمل الفاقد للنية لا يتصور وكل عمل مسبوق بنحو من النية لكن في بعض الأفعال مثل الصلاة والصوم النية لها ظهور أكثر وفي بعضها الآخر ظهور النية أقل . لهذا السبب يقول الفقهاء بالنسبة للصوم :

«لو أراد شخص الأكل في حال الصوم ، يعني من دون أن يأكل شيئاً ، فقط قصد الأكل فصومه باطل وعليه كفارة بل في بعض الموارد يجب عليه كفارة الجمع» .

دليل هذا المطلب أنه في هذا النوع من الأعمال العبادية النية لها جنبة

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ٣٠ .

(٢) سورة المدثر ، آية : ٣٨ .

أقوى من الفعل ، في العبادات الأخرى وحتى في المعـاملات النيـة لها وجـود لكن ظهـورها وتجليهـا ليس بهذا المقـدار . الإتيان بـالعبـادات مثـل الخمس والزكاة والإنفاق المستحب مثل الصدقة كلها يلزم فيها النيـة الخالصـة لكن في هذا النحو من العبادات أصل الفعل له أهمية وظهور أكثر .

الحـديث الشـريف «نيـة المؤمن خيـر من عمله» يحكي عن أن ذات المؤمن أفضـل من عمله . إذ أعمالـه خـارجـة من ذاتـه فهي تنشـأ من الـذات وظهور وتجلي لها وبعبارة أخرى العمل يحسب من آثار النية .

الكافر أيضاً ذاته التي هي المنبع لعمله أسوأ من عمله . إذ أن ذاته ونيته هذه هي التي تصنع عمله وإن كانت بعض أعماله في الخارج مفيـدة للمجتمع والناس لكن هذه الفائدة ليست لها فائدة أو أمر متصل بذاته .

فاتضح أنه في الآية الكريمة ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ يرجع العمل إلى الذات وفي القيامة ذاتيات الناس توزن ببعضها طبعاً الذاتيات المكتسبـة لا الفطرية ، إذ الذاتيات الفطرية للناس واحدة وجملة الناس ذاتاً خلقـوا عباد الله مؤمنين .

استمرار الأعمال على أساس النيات :

أساس التقدم ورمـز الاستمرار للحيـاة الإنسانيـة في جهة الخيـر أو الشر يكمن في النيات ، لأنه حيث أن النية تعطي الشكـل لذات الإنسـان فهي تعين الحياة الدنيوية والأخروية . إذا كان الإنسان بـدواً نيته خيـر وعمل على طبقهـا نفس هذا الأمر سيكون منشأ لـلأعمال الصـالحة فيمـا بعد . لكن إذا كـان من البدء ظهرت نية الشر في الإنسـان وعمل على وفقهـا فهذا الأمـر يهيئه لـلإتيان بأعمال الشر فيما بعد ، وفي النهاية يبدله بذات شقية وخبيثة .

﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله﴾[1] .

---

(١) سورة الروم ، آية ١٠ .

وفي النتيجة تكون الأعمال السيئة لهم عمل بسيط ويتلقونه على أنه أمر عادي بل إن النيات السيئة والتصميم والعزم على عمل الشر يصير أمراً عادياً وبسيطاً ويصير كالعادة بالنسبة للإنسان وعلى هذا الأساس تتهيأ أرضية تكذيب الآيات الإلهية .

أمير المؤمنين علي (ع) أيضاً يشير تلويحاً إلى هذه الحقيقة في إحدى خطبه الحكمية والتربوية حيث يقول : بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة[1] .

لأن المرجئة كانوا معتقدين بتأخير العذاب الإلهي وهذا المعنى يمهد لهدف الأعمال السيئة وعدم الاعتناء بالشرور في مقام العمل .

النية العامل المعين لمراحل الإنسان :

كلما كانت تتهيأ من البدأ المجالات لتكوين النيات الطاهرة والمتعالية في الإنسان فهذا الأمر يوجب الإتيان بالأعمال الحسنة فيما بعد بواسطتها ، العمل الحسن التوأم مع النية الخالصة يصنع إنساناً سليم العمل مؤمناً وعبداً لله .

من جهة أخرى ، كلما كانت الإلقاءات الشيطانية تهيىء الأرضية لإيجاد نية الشر في الإنسان فهو أيضاً سيعمل طبقاً لتلك النية ونياته الرذيلة والأعمال الناشئة منها تفسد شخصيته وتمحي صفاته . وفي النهاية ذات ذلك الشخص بسبب النيات الفاسدة والأعمال السيئة ستكون شقية وشيطانية .

ما دام هاتان المجموعتان تعيشان في الدنيا فنياتهم ستكون منشأً لأعمال أخرى وبعد الموت في عالم الآخرة ستظهر هذه النيات وستحشر شخصياتهم

---

(١) المرجئة مجموعة كانت من المسلمين تعتقد : أن الإيمان يكفي ولا تضر معه أية معصية . ابن الأثير في كتاب النهاية يقول : وهم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله أرجأ تعذيبهم على المعاصي ، أي أخره عنهم . . النهاية مادة رجا ج ٢ ص ٢٠٦ .

على طبق تلك النيات ، هذا هو الشيء الذي يستفاد بوضوح من حديث «يوم يحشر الناس على نياتهم» . هذه الرواية رويت عن رسول الله (ص) ونقلت من طرق الخاصة والعامة نظير هذه الرواية نقل في كتاب وسائل الشيعة أبواب مقدمة العبادات عن الإمام الصادق (ع) بهذا النص :

إن الله يحشر الناس على نياتهم يوم القيامة .

في هذا الحديث وأمثاله المقصود من النية هو نفس الذات والشخصية المصنوعة بواسطة نية الإنسان .

نقلت رواية عن رسول الله (ص) وهي مشهورة جداً وبعض العلماء ادعوا تواترها اللفظي[1] (طبعاً بعد التدقيق علم أنه لم يكن هناك تواتر في كل الطبقات وإنما هو في بعض الطبقات) . في كتاب المحاسن ذكر أن النبي الأكرم (ص) قال هذا الكلام في حق المجاهدين في سبيل الله لكن لا اختصاص له بالمجاهدين بل هو عام والحديث المذكور بهذا اللفظ :

قال رسول الله (ص) : إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى[2] .

---

(١) المقصود من التواتر اللفظي أن ينقل كلام أو واقعة بواسطة أفراد مختلفين بلفظ واحد بشكل ينبغي احتمال اتفاق كل هؤلاء الناقلين على جعلها . ويوجد أقساط أخرى للتواتر لا ضرورة حالياً لذكرها .

(٢) الوسائل ، أبواب مقدمة العبادات حديث ١٠ وكذلك جامع أحاديث الشيعة باب وجوب النية ج ١ حديث ٧ ص ٩٩ ويلزم التنبيه على هذه النكتة أن المرحوم الشيخ الحر العاملي صاحب الوسائل لم يذكر صدر الحديث لكن جامعو أحاديث كتاب جامع أحاديث الشيعة أو بعضهم نقل الرواية من النسخة المغلوطة «المجالس والأخبار للشيخ الطوسي» وإجمالاً التفتوا إلى وجود نوع من السقط في العبارة لكنهم صرحوا بلفظ لم يكن مناسباً . وكذلك في هوامش الوسائل نقل بشكل آخر ، ونحن نذكر عين الحديث لأسباب وحتى يصحح الآخرون نسخهم أيضاً : . . . إن رسول الله (ص) أغزى علياً (ع) في سرية وأمر المسلمين أن ينتدبوا معه في سريته ، فقال رجل من الأنصار لأخ له : أغز بنا في سرية علي لعلنا نصيب خادماً أو راية أو شيئاً نتبلغ به ، فبلغ النبي (ص) قوله فقال : إنما الأعمال بالنيات ،

فالمراد أن الجزاء وثواب الأعمال يقيّم ويعين على أساس درجات خلوص النية . حتى إذا كان هناك نية ولم يتحقق عمل بتعالها فإن الثواب أيضاً يتعلق بالنية لكن النية المترافقة مع العمل قيمتها أكبر وخبراؤها وثوابها سيكون أكثر[1] . (مع الإلتفات للأبحاث الماضية ، يتم هذا البحث) .

حيث أن هذه الرواية ذكرت حول المجاهدين في سبيل الله ونياتهم . إذ أنه في زمان الرسول الأكرم (ص) كل شخص كان يذهب للحرب لهدف وقصد مختلف . فعدا عن الأشخاص الذين يتوجهون لميدان القتال لأجل الله وإعلاء دينه فهناك مجموعة تحضر ميدان القتال أيضاً من أجل تحصيل الأموال والثياب ، الأنعام ، السلاح ، العبيد والغنائم الحربية الأخرى ، فمع الاعتناء بهذه الشرائط فالنبي الأكرم (ص) ذكر هذا الكلام وتابع في تتمته :

فمن غزى ابتغاء ما عند الله فقد وقع أجره على الله عز وجل ومن غزى يريد عرض الدنيا أو نوى عقالاً لم يكن له إلا ما نوى .

فالمقصود أن الأشخاص الذين يبادرون للقيام بالعمل بنية دنيوية فمهما جاهدوا فلا فائدة ولا نصيب لهم في الآخرة إذ لم يكن لهم نية أخروية حتى يثابوا على طبقها ، فالنتيجة أن هذا الحديث أيضاً يؤيد أن المعيار والشخص الأصلي للعمل هو النية .

النية وإصابة السنة :

كل هذه القيمة التي ذكرت للنية في المتون الإسلامية هي في صورة

ولكل امرىء ما نوى فمن غزا ابتغاء ما عند الله فقد وقع أجره على الله عز وجل ومن غزى يريد عرض الدنيا أو نوى عقالاً لم يكن له إلا ما نوى . العقال يطلق على زكاة الإبل والغنم . لكن في هذا الحديث المراد نفس الإبل والغنم والأنعام أخرى لأن أكثر أموال العرب في ذلك الزمان كان هذه الحيوانات التي كانوا يأخذونها معهم في الحرب .

(١) المراد من النية في هذه الرواية ـ كما فسرها البعض ـ ليس عدم الفعلة بل المراد من تلك الحالة أعم من الإرادة والانتباه والخشوع والخضوع والخلوص أمام الله يقال عنها جمعاً النية .

وجدانها لضوابط ومعايير معينة فإذا كانت السنة فاقدة للضوابط والمعايير المعنية لها فسوف لن نستفيد من كل هذه القيمة فليس صحيحاً أن كل شخص أي نية ينويها وكيفما كان فإنه يصير مشمولاً للثواب الأخروي .

كما أن النية هي الملاك والمعيار للعمل الصالح فهي نفسها أيضاً خاضعة لضوابط وملاكات ويجب أن تترافق هذه الملاكات مع النية وتكون توأماً معها لتكون النية منشأ للآثار المفيدة والخالدة .

في مجموعة الأحاديث الإسلامية طرح ما يلي : الإنسان في نيته يجب أن يجعل غايته وهدفه سنة الله والرسول الأكرم والأئمة المعصومين (ع) ويطابقها عليها ويجعل السنة أساس التوجه وعمدته لأن النية تعطي الاتجاه حسب هدف السنة وإذا لم يحصل هذا مع كل أهميته فسيكون فاقداً للقيمة ، ومهما سعى في مقام العمل فلن يتعلق به أي أجر .

بناء على هذا يجب أن يكون الهدف في النية باتجاه السنة وكل نية تصيب السنة فستكون مثابة . والإنسان يجعل الخلوص في النية والعمل الصالح من هذا المنطلق وهذه حقيقة مهمة أشار إليها الرسول الخاتم (ص) .

في أصول الكافي ينقل عن الإمام الصادق (ع) أنه قال :

قال رسول الله (ص) : لا قول إلا بعمل[1] ولا قول ولا عمل إلا بنية .

ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السنة[2] .

بناء على هذا تصير الآية الكريمة ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ بهذا المعنى أنه : إن الله يخبركم أيكم أكثر عملاً بسنة رسول الله (ص) .

الإصابة مشتقة في لفظ صوب و «صوب» بمعنى المطابقة والاستهداف ، إصابة السنة بمعنى أن الاستهداف في النيات والأعمال يكون مطابقاً للسنة .

---

(١) في بعض النقولات ابتدأت الرواية عجلة «لا يقبل قولاً إلا بعمل» .

(٢) أصول الكافي كتاب فضل العلم ، باب الأخذ بالسنة حديث ٩ ـ الوسائل أبواب مقدمة العبادات باب ج ٢ .

السنة أعم من القول والفعل والتقرير[1] للمعصوم (ع) . (طبعاً في باب السنة وأقسامها يوجد أبحاث واسعة بحثت في محلها لكن حول فعل وتقرير المعصوم (ع) وسيرته يلزم وجود بحوث أوسع) .

أمير المؤمنين علي (ع) يقول حول السنة وأنواعها :

السنة سنتان : سنة في الفريضة : أخذها هداية وتركها ضلالة .

وسنة من غير الفريضة : الأخذ بها فضيلة ، وتركها إلى غير خطيئة[2] .

من اللازم تذكر هذه النكتة أن روايات السنة تشمل هذا المورد من البحث ، مثلاً أفضل الأعمال عند الله العمل بالسنة ، أو حق النقاهة العمل بالسنة ، أو الهداية في العمل بالسنة وأمثال هذه العناوين ونكتفي بهذا المقدار اختصاراً .

إذاً إصابة السنة في النية هو التوجه بالهدف إلى السنة وتنسيق النية معه وذلك معيار لوزن النيات وأعمال الإنسان .

صواب العمل مع الخشية والنية الصادقة :

كلما دققت في الرواية مورد البحث نجد أن النية الصادقة أخذت بين خشيتين :

«إنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة والخشية» .

يعني النية الصادقة شرطها المتقدم الخشية وشرطها المتأخر أيضاً الخشية . طبعاً هذه الاستفادة متوقفة على ثبوت بعض النسخ وحيث أنه أشير كثيراً في بعض النسخ أنه مكان «الخشية» جاء لفظ «الحسنة» ففي هذه الصورة أيضاً لا شك في كون مقدمة النية الصادقة هي الخشية الإلهية .

---

(١) المراد في تقرير المعصوم أن يحصل فعل في حضور المعصوم ولا ينهى عنه .
(٢) أصول الكافي ، نفس الكتاب والباب السابقين حديث ١٢ .

الخوف والخشية :

في النصوص الإسلامية استعملت كلتا اللفظتان «الخوف» و «الخشية» بمعنى خوف الله وتستعمل كل واحدة منهما مكان الأخرى[1] ، لكن بين هذين المفهومين يوجد تفاوت محسوس يجب أن يشار إليه .

على أساس ظاهر الروايات الخوف يستدعي العقاب وفي مفهوم الخوف والخشية عدا عن الخوف يتضمن معنى الرجاء أيضاً . وأهل العرفان والأخلاق أيضاً عندهم اصطلاحات . ويبدو في النظر أن الخوف يكون من العقاب وما شابهه لكن الخشية هي خوف مع تذكر عظمة الله ذو الجلال وتجلي الحق (جلت عظمته وكبرياؤه) عند الإنسان الواصل إلى درجة الخشية وبعبارة ثانية الخوف الواقعي من عظمة الله ، وهذه العظمة تقترن بالحب والشوق إلى الله والإنسان من هذه الجهة خائف لئلا ينقص حب الله .

يعني أن الإنسان عندما يصير حائزاً لمرحلة عالية من التكامل الإنساني وصار نائلاً لمعرفة الله يصير خوفه لتحصيل الحب ومن أجل عظمة الله لا لشيء آخر . في الواقع الخوف هو أرضية تحقق الخشية .

العرفاء بالخصوص تلك المجموعة من العرفاء الذين يتمشون ويتلاءمون مع أحاديث المعصومين (ع) يستفيدون تقريباً هذا المعنى من روايات المعصومين .

---

(١) من الموارد التي يمكن أن يكون فيها لفظان بمعنى بعضهما إذا اجتمعا أيضاً هو هذا المورد مورد الخوف والخشية . ويمكن القول : «إذا اجتمعا أو افترقا وإذا افترقا افترقا أو اجتمعا» ويمكن أن يستعملا حال الاجتماع بمعنى بعضهما أو كل بمعناه المختص . وكذلك في صورة الافتراق . وذلك مثل لفظي القسط والعدل اللذين ذكرناهما في بعض الدروس الفقهية . والآية الشريفة ٩ من سورة النساء ﴿**وليخش لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم** . . .﴾ شاهد على المدعى المذكور .

(٢) أصول الكافي ، كتاب الدعاء باب الدعاء في حفظ القرآن حديث ٢٤ . هنا ذكرت الخشية متناسقة مع المحبة والشوق .

نحن فعلاً لا نبحث على أساس النظرات العرفانية وغيرها بل نتكلم على طبق الروايات وإنما أردنا الإشارة إلى هذا الموضوع فقط .

الإمام الصادق (ع) كان يقول مراراً :

«اللهم املأ قلبي حباً لك وخشية منك وتصديقاً وإيماناً بك وفرقاً منك وشوقاً إليك يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم حبب إليَّ لقاءك» .

في هذا المجال وصلتنا روايات كثيرة عن السلف والرسول الأكرم (ص) والأئمة الأطهار (ع) ولكن لوجود أسباب من جملتها التقدم التاريخي ننتقل أيضاً عن لقمان الحكيم إذ أن الله تعالى في القرآن ينقل كلماته الحكمية في خطابه لابنه ونحن أيضاً نبين رواية عن الإمام السادس (ع) ينقلها عن لقمان الحكيم .

الإمام الصادق (ع) يقول في جواب سؤال الراوي الذي يسأله عن وصايا لقمان ماذا كانت :

قال أبو عبدالله (ع) : وكان فيها أعاجيب وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه : خف الله عز وجل خيفة لو جئته ببر الثقلين لعذبك ، وارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك . ثم قال أبو عبدالله (عليه السلام) : كان أبي يقول : إنه ليس من عبد إلا في قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا[1] .

بهذا البيان الذي نقله الإمام الصادق (ع) عن لقمان الحكيم وآبائه العظماء يعلم بعض معاني الخوف والخشية والرجاء .

في وسائل الشيعة الباب السادس من أبواب مقدمة العبادات الحديث التاسع ينقل عن حمزة بن حمران الرواية التالية :

سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول : إن مما حفظ من خطب النبي

---

(١) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر باب الخوف والرجاء الحديث الأول .

(صلى الله عليه وآله) أنه قال : يا أيها الناس ! إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم إلا أن المؤمن يعمل بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته وفي الشبيبة قبل الكبر وفي الحياة قبل الممات فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستغيب وما بعدها من دار إلا الجنة أو النار .

أساساً الخشية تطرح نسبة إلى الله تعالى أما الخوف فيطرح في ما يتعلق بمقابل الخوف مثل «أمن» مثلاً نرى أنه يوجد هذا التعبير في ضمن رواية :

وقل الحق في الخوف والأمن ولا تخش إلا الله[1] .

ويمكن أنها خطاب للإمام الباقر (ع) :

فكما يلاحظ أن الخوف ذكر إلى جانب الأمن والخشية ذكرت بالنسبة إلى الله .

رواية أخرى نقلت عن الصادق (ع) يمكن فهم معنى الخشية منها :

قال أبو عبدالله (ع) : إن من العبادة شدة الخوف من الله عز وجل يقول الله : **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾**[2] وقال جل ثناؤه : **﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾**[3] وقال تبارك وتعالى : **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾**[4] قال وقال أبو عبدالله (عليه السلام) : إن حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب[5] .

على أساس هذا الحديث فإن شدة الخوف من الله مقدمة للخشية وتضع

---

(١) أصول الكافي ، كتاب الحجة ، باب إن الأئمة لم يفعلوا شيئاً ج ١ .

(٢) سورة فاطر ، آية : ٢٨ .

(٣) سورة المائدة ، آية : ٢٤ .

(٤) سورة الطلاق آية ٢ .

(٥) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الخوف والرجاء الحديث السابع .

النفس في طريق العبادة والتقوى والبناء والكمال . .

في هذا الحديث ، قال الإمام في البدء : شدة الخوف من الله عبادة ، ثم أتى بشواهد من آيات الخشية في القرآن . بناء عليه علم أن شدة الخوف من الله هي هذه الخشية وبعبارة أخرى الخشية هي الخوف الشديد من الله التي تحصل من معرفة الله ذو الجلال وإدراك عظمته .

شرط الخشية تعالي النفس :

ثم قال (عليه السلام) أن من شاهد عظمة الله وأخذ الخوف والخشية مكاناً في قلبه لا يكون يوماً طالب شهرة أو جاه . يعني يصل إلى حد تصير فيه الأمور الأخرى من قبيل الشرف وحسن الذكر بلا أهمية بالنسبة له . كلما كانت النفس في مرتبة نازلة كانت الكثير من الأمور مهمة لها . ويمكن أن يمنعها ارتباطها بالأمور النازلة من عبودية الله ومن التعالي (لذا كان أحد طرق تهذيب النفس تحصيل التعالي وعلو الشأن إذ أن النفس عندما تترقى فإنها ترى ارتكاب الأعمال الغير المقبولة والمعاصي دون شأنها وتبتعد عنها .

فمن اللازم للإنسان الذي يفكر في تهذيب نفسه وإصلاح ذاته أن يسعى في ترقيها وعلوها . وفي تلك الصورة لا يعود محتاجاً إلى المراقبة لدفع الرذائل وحفظ نفسه عنها بل يصرف همته في كسب الفضائل . لعله يمكن القول أن تحصيل علو النفس من طريق خشية الله كما أنه الخشية أيضاً تشتد عند الإنسان بواسطة علو النفس . يعني أن الخشية وعلو النفس لهما علاقة التقابل والتكامل .

ويوجد رواية أخرى في هذا المجال توضح المطلب لنا أكثر :

قال أبو عبدالله (ع) : من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا[١] .

في هذا الحديث حيث أن المذكور هو الخوف من الله فمعناه أنه الخشية

---

(١) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الخوف والرجاء ، الحديث الرابع .

هي المذكورة خصوصاً وأنـه قد طـرح بعنوان أنـه حاصـل المعرفـة لله . يقول (عليـه السلام) أن الإنسـان الذي يحصـل عنده خـوف في قلبـه من الله بسبب معرفته لله فهذا يسخو عن الدنيا ويتجاوز عنها . يعني أن الإنسـان الذي يكـون عنـده خوف من الله لا يلتفت إلى الـدنيا بعـد . بناء عليـه كلمـا ادعى شخص الخـوف من الله وبقيت الدنيـا مع ذلـك تحتـل مكـانـاً من الأهميـة فهـذا ليس بصادق في دعواه الخوف من الله . وكذلـك إذا وهب الإنسان مـاله في خـدمة الناس أو في سبيل الشهرة وحسن الذكر فليس عمله هذا سخاوةً حقيقية .

النكتـة الثانيـة التي تستفاد من هـذه الروايـة أنـه قـال (عليـه السـلام) : الإنسان الخائف تسخو نفسه عن الـدنيا ولم يقـل إنه يسخـو عن نفسه ، وسـر المطلب أنه بدن الإنسان له احتياجـات ويجب على الإنسان أن يعمـل لرفعهـا في حـدود قوانين الشـرع لا أنه يهملهـا كلياً . فبنـاء عليه يجب في حـال كون الاهتمام الأصلي بالنفس وما يرتبط بالباطن والذات وحقيقة الإنسـان ففي نفس الوقت لا يجب أن يغفل وينسى حاجات الجسم أيضاً إذ أن هذا الجسم مركب للروح والنفس . بنـاء على هذا الأسـاس ، الشخص الخائف يسخـو بـالنسبـة للدنيا ويغض الطرف عن المواهب الدنيوية ويحصل علواً ، وترتفع مرتبتـه عن الـدنيا والآثـار الدنيـوية في هـذه الأثناء يكـون للإنسـان مراقبـة لنفسـه لكسب الكمـالات وحفظهـا لا للابتعـاد عن المعاصي والانحـرافات أو هـذه الأعمـال والصفات من خصائص النفس النازلة .

النفس التي حصلت الاعتلاء لا تذنب بـل تشمئز من الـذنب وتتنفر منـه لأنها ترى الذنب دون شأنهـا ولذا تتـوجه للقـرب لله والكمال المـطلق . ولهذا السبب يكون الخوف المتعلق بترقي الإنسان وكماله هو الخشية واستنـاد الإمام الصادق (ع) إلى آية ﴿**إنمـا يخشى الله من عباده العلمـاء**﴾ فيه إشـارة إلى هذا المطلب . لأن العلماء الذي يفكرون في كسب الكمالات النفسانية خوفهم من الله يعبر عنه بالخشية .

ولذا يقول الإمام الصادق (ع) في رواية في تفسير هذا القسم :

«يعني بالعلماء من صدّق فعله قوله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم»[1] .

ونقلت رواية أخرى في هذا المجال عن الإمام الصادق (ع) بهذا النص :

قال أبو عبدالله (ع) : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء[2] .

مع الإلتفات إلى هذا الحديث الشريف فجميع الأشياء . وكل الموجودات خائفة وحذرة من العالِم والعارف بالله ، والسر في ذلك أن الإنسان المتعالي والمهذب حائز على مقام عال من الناحية المعنوية ، والموجودات الأخرى بالنسبة له في مقام أنزل ولهذا يجعل الله في قلوبهم الخوف والحشمة منه . كما كان كل الحكام والملوك والذين بيدهم زمام الأمور في البلاد كانوا يخافون من رسول الله (ص) لأنه (ص) كان يخاف الله وحده[3] .

يقول الإمام الصادق (ع) في تتمة الحديث : إن الشخص الذي لا يخاف من الله فإن الله يخيفه من كل شيء ، حيث أن شخص كهذا يكون في مقام متسافل ويخاف من كل الأشياء وهذا الذي يقتضيه نظام الوجود الأحسن .

---

(١) أصول الكافي ، كتاب فضل العلم ، باب صفة العلماء ، حديث ٢ .

(٢) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الخوف والرجاء الحديث ٣ .

(٣) النموذج الحي لهذا الموضوع اليوم يمكن مشاهدته في القائد الكبير للثورة الإسلامية الإمام الخميني (قدس سره) حيث أن كل وجود هذا الرجل الشريف والقائد الكبير طي فيه خوف الله وخشيته لذا وضع الله الرعب والخوف منه في قلوب القوى الظالمة الشرقية والغربية ولهذا تمكن بيده الخالية من توحيد مختلف شرائح الشعب الإيراني حول محور التوحيد ورفع بساط الظلم الملكي الذي استمر ٢٥٠٠ سنة عن ساحة إيران وأقام نظام العدل الإسلامي وقاده إلى الأمام نحو المقصد النهائي رغم وجود كل المشاكل الكبيرة والصغيرة .

وفي رواية بالمناسبة قال الصادق (ع) :

من أيقن بالقدر لم يخش إلا الله [1].

يعني من كان له يقين بالمقدرات تنحصر خشيته بالله إذ لا يوجد بالنسبة له خوف وهلع غير خشية الله الناتجة من عظمته .

بناء عليه الخوف والخشية يصير سبباً لترقي وتكامل الإنسان والخوف مما سوى الله سبب لسقوط الإنسان وضعفه .

ما هو ملاك الخشية وحدها :

يعلمنا الإمام الصادق (ع) في رواية :

اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك [2].

ويروي إسحق بن عمار عن الإمام الصادق (ع) أنه قال :

يا إسحق ! خف الله كأنك تراه وإن كنت لا تراه فإنه يراك وإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك [3].

بناء على هذا يلزم على الجميع أن يسعوا في تعالي أنفسهم حتى ينالوا مقاماً من المعرفة والعرفان لكي تصبح الحقائق تحت متناول أيديهم وفي رأس جميع الحقائق رؤية الله تعالى بحق اليقين .

يقول الإمام الصادق (ع) في تتمة الحديث : إذ لم يصل الشخص إلى هذا الحد من العرفان والكمال بشكل يرى الله فيجب على الأقل أن يصدق قلبه إن الله ناظر إليه ويراه . وإذا كان الشخص غير معتقد بذلك فهو كافر ، أما إذا كان معتقداً بذلك ومع هذا يعصي الله في حضوره فهذا يعني أنه رأى

---

(١) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب فضل اليقين حديث ٦ .

(٢) أصول الكافي ، كتاب الدعاء ، باب الدعوات الموجزات . . . ، الحديث الأول .

(٣) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الخوف والرجاء الحديث الثاني .

الله في نظارته صغيراً وقليلاً حيث أن الإنسان كلما اطمأن أن ناظراً من جنس الإنسان يرافق تصرفاته فمن المتيقن به أنه يمتنع عن ارتكاب الكثير من الذنوب .

الإمام الخميني (قدس سره) ذكر في هذا المقام بنكتة مهمة وهو أن الخوف والخشية من الله لها حكم العلة القابلة بالنسبة إلى النفس ، والمقصود أن الخوف من الله يجعل في النفس القابلية والاستعداد لإيجاد النية الصادقة .

بناء على هذا كلما كان لشخص الإنسان في قلبه خوف من الله فإنه يمنع نفسه من الانحرافات حتى يصل إلى الدرجة التي تهيىء ـ على أثر علو النفس ـ الأرضية لتحقق النية الصادقة .

الإمام الصادق (ع) ابتداءً حيث ذكر الخشية التي هي العلة القابلة لبناء النفس عاد فذكر بعدها النية الصادقة التي هي العلة الفاعلة لتكامل النفس .

بناء على تلك النسخة التي جاء فيها «والخشية» بعد النية الصادقة فالحافظ والمكمل للنية الصادقة أيضاً هو الخشية . وحيث أن النسخة الأصلية فيها «والحسنة» فمعناها أنه بعد خشية الله والنية الصادقة يكون للأعمال الحسنة قيمة عالية .

المضمون المشترك الموجود في كل من النسختين والحائز على أهمية كبيرة هو أن الخشية بمفهوم الخوف الناشىء من معرفة عظمة الله يوجب رفع موانع التقرب إلى الله والحجب المانعة للقائه حتى يتمكن السالك من طي مراحل السير إلى الله بنيات خالصة وصادقة .

شعاع الخشية في توازن الخوف والرجاء :

في تتمة الأحاديث المذكورة حول الخوف والرجاء وردت رواية عن الإمام جعفر الصادق (ع) تتعلق بالأشخاص الذين يرتكبون المخالفات ولهم رجاء بعفو الله ننقلها لتكميل البحث :

قلت له : قوم يعملون بالمعاصي ويقولون ترجو فلا يزالون كذلك حتى

يأتيهم ملك الموت فقال (ع) : هؤلاء قوم يترجحون في الأماني كذبوا ليسوا براجين أن من رجا شيئاً طلبه ومن خاف من شيء هرب منه[1] .

مع الالتفات إلى الروايات المتقدمة فإن الخوف والرجاء يجب أن يكونوا مع بعضهم . في مفروض الرواية الأخيرة طرح الرجاء من دون الخوف وهذا الرجاء يحسب بيان الإمام الصادق (ع) ليس رجاءً بل نوع تخيل وتمن كاذب . إذ أن الرجاء بلا خوف لا واقعية له ، هكذا رجاء هو في الحقيقة أمل لا أكثر .

الأشخاص الذين غرقوا في الذنوب والمعاصي ، لكنهم يظهرون في آخر العمر أنهم يريدون التوبة ، هؤلاء يقعون في اشتباه كبير ، لأن أمناً كهذا من عواقب المعصية والتأخير للتوبة بهذا الشكل بنفسه ذنب آخر مستقل . هذه النظرة ليس فقط لا تمنع الإنسان من الفساد والذنب بل تزيد جرأته على ارتكاب المعاصي وتوجب الإقدام والإفراط في الذنوب ، مثل هؤلاء الأشخاص كمثل الأشخاص الذي لا يتذكرون موتهم بموت الآخرين ويقولون فقط : مات فلان أيضاً : كأنهم متيقنين أن الموت هو مصير الجيران فقط وهم مصونون من لسعته ويتصرفون بهذه الطريقة حتى يصلهم الموت .

كم تقول : عندما أبلغ الشيخوخة سأتوب فماذا تفعل إن علقت باللحد في شبابك

الرجاء الحقيقي ، الذي له دور بناء هو بمعنى طلب الرحمة والمغفرة والعمل لرضا الله وهذا لا يتيسر إلا بترك المعاصي وإتيان الواجبات والأفعال المرضية عند الله . وهذا الذي يحقق الخوف والرجاء كتوأم مع بعضهما ، وتوازن هاتين الحضيضين في نفس الإنسان يوجب بناء النفس وتعاليها ومع تعالي النفس تتحقق الأرضية للخشية .

في نهاية هذا القسم نلفت أنظار الأعزاء إلى قسم من الروايات التي تبين عظمة الخشية من الله يتحقق في النفوس شعاع وتجل من تلك الكلمات .

---

(١) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الخوف والرجاءح ٥ .

يقول الإمام الباقر (ع) :

كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث : عين سهرت في سبيل الله وعين فاضت من خشية الله ، وعين غضت عن محارم الله[1] .

وقد جاء نظير هذا البيان عن الإمام الصادق (ع) أيضاً إذ يقول :

عين بكت في جوف الليل من خشية الله[2] .

حسن الظن بالله في جهة الخلوص وحسن النية :

في تتمة أحاديث هذا الباب وردت أحاديث حول حسن الظن بالله إذا طالعناها وحللناها مع الأحاديث الأخرى في هذا الباب فإنها تساعد في توضيح معنى الرجاء كما أن لها دوراً في توضيح الموضوعات الأصلية لهذا البحث أي بحث الابتلاء وخلوص النية .

عن ابن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن يزيد بن معاوية عن أبي جعفر (ع) قال : وجدنا في كتاب علي (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ـ وهو على منبره ـ والذي لا إله إلا هو ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين والذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين ، والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلاكان الله عند ظن عبده المؤمن لأن الله كريم بيده الخيرات يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه [3].

مع الالتفات إلى مضمون هذا الحديث فإن الرجاء وحسن الظن بالله

---

(١) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب اجتناب المحارم ، حديث ٢ .
(٢) أصول الكافي ، كتاب الدعاء ، باب الرغبة ، حديث ٤ .
(٣) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب حسن الظن بالله عز وجل حديث ٢ .

مترافقان وهذان الأمران لهما تأثير واسع في طريقة تعامل الله تعالى مع عبده المؤمن .

الحديث الآخر الذي تذكره في تتمة هذه المقالة يبين الميزان والحد لحسن ظن المؤمن بالله . وكذلك فإن هذا الحديث يفصل أنواع الامتحان الإلهي أيضاً لذا يمكن جعله في تتمة الأحاديث المتعلقة بالآية الكريمة : ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ :

عن أبي جعفر (عليه السلام) ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قال الله عز وجل : إن من عبادي المؤمنين عباداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى والسعة والصحة في البدن فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن فيصلح عليهم أمر دينهم وإن من عبادي المؤمنين لعباداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالفاقة والمسكنة والسقم في أبدانهم فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم فيصلح عليهم أمر دينهم ، وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين ، وإن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاده ولذيذ وساده فيتهجد لي الليالي فتتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً مني له وإبقاء عليه فينام حتى يصبح فيقوم وهو ماقت لنفسه زارىء عليها ولو أخلي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب[1] من ذلك فيصيره العجب إلى الفتنة بأعماله فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه حتى يظن أنه قد فاق العابدين وجاز في عبادته حد التقصير[2] فيتباعد مني عند ذلك وهو يظن أنه يتقرب إليّ فلا يتكل العاملون على

(١) الفرق بين«العجب» و«الكبر» أن العجب حالة داخلية والشخص يسر من نفسه دون أن يقيس نفسه بالآخرين أم الكبر فبالمقايسة إلى الآخرين وله مظهر خارجي بحيث أن الشخص المتكبر يظهر عليه أنه يفضل نفسه على آخرٍ أو آخرين . ومن البديهي أن الشيء الذي آفته من نفسه يوجب مباهاة نفسه (أشير إلى رواياته في ضمن مجموعة في باب العجب) .

(٢) الأنبياء والأولياء يعترفون بالتقصير في العبادة في مقابل ذات الحق : «ما عبدناك حق عبادتك» .

أعمالهم التي يعملونها لثوابي لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم وأفنوا أعمارهم في عبادتي كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع درجاتي العلى في جواري ولكن فبرحمتي فليثقوا وبفضلي فليفرحوا وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا فإن رحمتي عند ذلك تداركهم ومتى يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي فإني أنا الله الرحمن[1] الرحيم وبذلك تسميت[2] النكتة التي يلزم بيانها فيما يتعلق بمعنى قسم في هذا الحديث هو أنه الشخص الذي يبقيه الله في النوم ـ من جهة نظر لطفه وإبقائه على العمل ـ ليلة أو ليلتين هو ذلك الشخص الذي قد قطع مراحل تهذيب النفس من الرذائل والمعاصي ، وخطا في طريق تعالي النفس والتقرب إلى الله تعالى . فالله تعالى لكي لا يقع هذا الشخص في العجب يبتليه بعض الليالي بغلبة النوم ويسلب منه توفيق صلاة الليل . وهذا الموضوع لا ارتباط له بغلبة النوم على الأشخاص الذين يرتكبون المعاصي في النهار أبداً لأنه قد ورد في بعض الروايات أن هكذا أشخاص يسلب منهم توفيق عبادة الليل بسبب المعاصي والذنوب التي يرتكبونها في النهار[3] .

وحاصل الكلام أنه في هذا الحديث عُدّ الاتكاء على العمل من دون الرجاء والأمل برحمة الله وفضله مردوداً ورغب المؤمنين بالأمل وحسن الظن بالله . وتوأمة مفهوم الرجال مع حسن الظن في هذا الحديث نكتة مهمة قد أُشير إليها قبلاً .

وقد ورد حديث آخر في بيان حسن الظن بالله حيث عرفه بواسطة مفاهيم الخوف والرجاء :

---

(١) الرحمن والرحيم صفتان مستقتان من مادة الرحمة لكن الرحمن يفيد الرحمة الإلهية العامة والرحيم يفيد الرحمة الإلهية الخاصة للمؤمنين . و «كان بالمؤمنين رحيماً» . وقد ذكرت بعض المطالب في هذا المجال في ضمن تفسير سورة الحمد .

(٢) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الرضا بالقضاء ، حديث ٤ .

(٣) عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال بان الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل . . أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الذنوب ، حديث ١٦ .

عن سفيـان بن عُيينة قـال : سمعت أبا عبـدالله (عليه السـلام) يقـول : حسن الظن بالله أن لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا ذنبك [1] .

بناء على هذا حسن الظن بالله هو أن يكون الإنسان راجياً بالنسبة للجنبة الإلهية والملكوتية فيه وقلقاً وخائفاً من ناحية نفسه البهيجية والشيطانية التي هي منشأ كل ذنب ومعصية (خوف ورجاء) .

بناءً عليه الخشية التي هي العامل الأصلي في بناء نفس الإنسان تحصل من طـريق المعرفـة والعـرفـان لعـظمـة الله وتتجلى بصـورة الخـوف من الله . ويتجلى الأمل بفضله ورحمته للناشيء من حسن الظن يخالف العالم ، وتوسع الأرضية لتحقق النيات الصادقة والخالصة في قلب الإنسان .

من هنا يعلم أن الشخص الذي يأتي بالأعمال الصالحـة مع نيـة صادقـة يصير مؤمن ويكون مصداقاً لرواية «المؤمن كالكبريت الأحمـر» ، حيث أنه مـع الخلوص القلبي والبعد عن الرياء وامتلاك مكارم الأخلاق يصير موجـوداً ممتازاً وقليل التحقق والله تعالى يعطيه امتيازات ومواهب واسعة .

النية ، في نظر الفقه الإسلامي :

في هذا القسم من هذه المقـالة نحن في صـدد معرفـة مواضـع النية في الفقـه الإسلامي والإشـارة إلى نظر الفقهـاء العظام بـالنسبة للنيـة ومعنـاهـا في الأحكـام إمام الأمـة (قـدس سـره) أيضاً في شـرح الحـديث العشـرين من كتـاب «الأربعين» الذي هـو المحور الأصلي لمقـالتنا قـد أشـار إلى الجـوانب الفقهية للبحث عدا عن إشارته للجوانب الحكمية والعرفانية .

بمـا أن مقصودنـا التحليل الإجمـالي للنيـة في طـريق تحقق الإخـلاص ومعناها وأحكـامها في الـذخائـر العظيمـة للفقه الإسـلامي فيجب علينا إذن أن نستند إلى كلمات وبيانات الفقهاء العظام في الكتب الفقهية .

البحث بـالنسبة للنيـة طرح في عـدة مباحث من الكتب الفقهيـة بشكـل

---

(١) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الذنوب ، حديث ٤ .

مبسوط وموسع . ونحن قبل الإشارة إلى بعضٍ من تلك المباحث نذكر هذه النكتة في هذا المجال ، بحث النية مع أنه محل للنظر في كل أبواب الفقه وبدليل كون وجود مبادىء النية لازماً في جميع العبادات فما السبب أن هذا البحث لم يطرح إلا في بعض الكتب الفقهية ؟ .

سبب هذا الأمر هو أن الفقهاء في القديم كانوا متقيدين بمراعاة المناسبة في ذكر المسائل ، أي أنهم كل بحث له تناسب مع موضوع آخر فإنهم يطرحونه في حاشية ذلك الموضوع ، وكمثال على ذلك ، شرائط البلوغ ومسائل التكليف التي في نظري يجب أن تطرح في بداية الرسالة العملية حيث أن الشخص الغير الحائز على شرائط التكليف لا وجوب ولا ضرورة له للعمل بأحكام الرسالة فمع ذلك يطرح هذا البحث في مكان آخر مثل كتاب «الحجر» و «الصوم» من الرسالة .

فسبب ذلك هو ما أُشير إليه . حيث أن المسائل المتعلقة بالتكليف ليس لها تناسب علمي مع أول الكتب الفقهية أي كتاب الطهارة . بينما يوجد مناسبة في كتاب الحجر حيث أن الفرد غير البالغ ممنوع من التصرف بالنسبة إلى أمواله ومحجور عليه فذكروا هذه المسائل في مباحث التفليس وكذلك ذكروا شرائط وعلائم البلوغ في كتاب الصوم حيث يعدون شرائط وجوب الصوم ، بناء على هذا فقد بان السبب في طرح بحث النية في عدة محال وهو ذلك التناسب لبحث النية مع المجال المذكورة .

الموضع الأول الذي يبحث فيه حول النية هو كتاب الطهارة . أحد المباحث المهمة في كتاب الطهارة هو الطهارات الثلاث ، يعني الوضوء والغسل والتيمم ، وحيث أن وقوع هذه الطهارات بلا نية غير صحيح ، لذا في أول بحث الوضوء يبحثون بالتفصيل عن أحد شرائط الوضوء أي النية .

الموضع الثاني الذي يذكر فيه المسائل المتعلقة بالنية كتاب الصلاة حيث أن من يريد أن يصلي يجب أن ينوي أولاً وعدا عن نية عدد الركعات ونية الوجوب والاستحباب ، الظهر أو العصر ، القضاء أو الأداء وغير ذلك

يجب أيضاً نية الإخلاص . وبهذه المناسبة يبحث في هـذا الموضـع أيضاً عن النيـة بشكل أوسـع نسبياً ، طبعـاً من البديهي أنـه لا يجب أن يفهم بحث النية في هـذين الكتابين (الـطهارة والصـلاة) بشكل منحـرف من أنـه بنـاء عليـه لا تشترط النية في العبادات الأخرى ، إذ لا يـوجد أيـة عبادة تصـح من دون النية بمعنى التـوجه والإخـلاص وقصد التقـرب إلى الله . لكن في بعض العبـادات مثل الصلاة والـوضوء الجنبـة القلبية للنيـة أقوى وحـائزة على أهميـة أكبر وفي بعض العبادات الأخرى الجنبة الجوارحية والعملية للعبادة أبرز وأهم مثـل دفع الخمس والزكاة . في هـذا النوع من العبـادات أيضاً يلزم وجـود قصد التقـرب والخلوص ، بشكـل عـام النيـة شـرط حتمي للعبـادة مهمـا بلغت العبـادة من الكمال ، ويمكن القول أنها شرط لازم للعمل العبادي لكنها ليست شرطاً كافياً بالنسبة له بل يجب أن يتحقق بعد النية عمل جوارحي أيضاً .

المرحوم العـلامة الحلي في كتـاب القواعـد عرف النيـة بهذا الشكـل : «النية إرادة إيجاد فعل على تلك الجهة المأمور[١] بها شرعاً[٢]» .

في كتاب «الجواهـر» والكتب المتأخـرة عن «القواعـد» أيضاً أتـوا بنفس هذا التعريف . المرحوم العاملي في شرح القـواعد ينقـل عن الشيخ الـطوسي (رحمه الله) ما يلي :

«تسمى النيـة نية لكـونهـا مقـارنـة للفعـل وحلول ذلـك في القلب ، في الـواقع إخفـاءٌ في القلب منظور ، يعني النيـة من مادة نـوى بمعنى لب الشيء واللب مخفي في بطن الشيء لذا النية استعملت بالاصطلاح المذكور بمناسبـة استقامتها اللغوي له حيث أن النية مثل اللب ، الشيء المخفي في القلب» .

صاحب الشرائـع أيضاً ذكـر ما يلي : «النيـة هي الإرادة التي تتصور في القلب»[٣] .وكأنه يريد أن يقول إن سائر الإرادات لها جنبـة خارجيـة ولكن النية

---

(١) «المأمور به» هو العمل الذي أمر الشرع بإتيانه .

(٢) مفتاح الكرامة ، كتاب الطهارة باب الوضوء .

(٣) الشرائع ، كتاب الطهارة ، باب الوضوء .

جنبتها الداخلية أقوى من جنبتها الخارجية وأبرز .

بعض العلماء الآخرين ، ذكروا فقط جهة تحقق الفعل ولهذا السبب عرفوا النية بالعزم على الفعل أو العمل القلبي المقارن مع الفعل وأمثال ذلك . وهذا طبعاً تعريف صحيح للجنبة التي هي محل نظرهم .

طبعاً البعض قالوا إن العزم مسبوق بالتردد بخلاف النية . والبعض أيضاً قالوا إن النية هي الإرادة المقارنة للعمل بخلاف القصد الذي ليس كذلك . وحيث أن أصل المطلب مشخص ومعلوم فلا حاجة لذكر هذه الخصوصيات .

بعض آخر من العلماء عبروا عن النية بأنها الباعث والهدف في العمل بهذا المعنى أنه كما أن نفس النية تنبعث وترتكز على العلم فكذلك هي باعث وغاية للعمل أيضاً .

التعاريف المذكورة فوق أغلبها مأخوذة من اصطلاحات المتكلمين . مثل الإخطار بالبال (بالقلب) أو خطور الأشياء في النفس أو الباعث والمبدأ للعمل وأمثال ذلك . طبعاً ذكر هذه الخصوصيات والتفات الإنسان إليها أثناء العمل يبعث على كون عمل الإنسان صادراً مع الاطلاع والالتفات الكاملين .

الإخطار والخطور أو الحضور في الذهن هذه عوامل تدعو الإنسان للوسوسة حين النية لذا عدة من الفقهاء الذين عبروا بهذه التعبيرات بالنسبة للنية طرحوا بحث الوسوسة إلى جانبه ، لكن الكثيرين من الفقهاء العظام ذكروا بحث الوسوسة في شرح حديث الوسوسة المنقول في أصول الكافي . والقائد العظيم للثورة الإسلامية (قدس سره) عنده بيانات حول الوسوسة في ضمن الحديث الخامس والعشرين في كتاب الأربعين . الشيخ البهائي (قدس سره) في كتابه «الأربعين» والشيخ الأعظم الأنصاري (رضوان الله عليه) في كتاب «الطهارة» بحث الوضوء ، صفحة ٧٩ .

ونقلاً عن المحقق والمقدس الأردبيلي (رحمهما الله) والمحقق والحكيم الإلهي صدر المتألهين الشيرازي ـ ملاصدرا ـ (طاب ثراه) في شرح أصول

الكافي وآخرين أنهم بحثوا بشكل متصل في هذا المجال وذكروا أن الخطور والاخطار والحضور وغير ذلك ، إنما هو في مقام التفصيل لكن في باب النية يكفي الإجمال ولا يلزم التفصيل بهذه الخصوصيات ولا حتى التصريح باللفظ . صحيح أن كل واحد من هذه العناوين «الخطور» و«الحضور» وغيرها تجعل الإنسان بالنسبة للعمل أكثر اطلاعاً ولكن في تحقق النية يكفي هذا المقدار بشكل أنه لو سأله شخص ماذا تعمل يعلم ماذا يفعل يتوضأ أو يصلي الظهر أو العصر ، بناء على هذا المعنى فالنية في هذا المقام الالتفات مقابل الغفلة وعدم الالتفات ، لكن هذا المعنى قابل للتشريح والتفصيل إلى معانٍ وخصوصيات . لذا أكثر من ذلك يوصل إلى درجة الوسواس الممنوع ، لكن المهم هو مسألة أخرى وهي أنه مع هذا التوجه يجب أن يتحقق إخلاص في النية ولمتابعة ذلك العمل وعلى هذا الأساس الروايات التي تؤكد على أهمية موضوع النية إنما هي ناظرة إلى كيفية هذا التوجه أي الإخلاص . (وسنبحث فيما يتعلق بهذا الموضوع فيما بعد) .

بناء على هذا الإخطار بالقلب وحضور الخصوصيات في الذهن لا لزوم لها في مقدمة العبادات والعمل بالأحكام الدينية ويكفي مجرد الالتفات . مثل أولئك الذين يكتفون بمجرد المقارنة بهذا المعنى أنهم فسروا تحقق النية بأن لا يكون الشخص غافلاً عن عمله أثناء إتيانه بالعبادة . هذا هو معنى النية في مقام العمل العبادي وأقل التفات يوجب صحة وقوع النية . أما ما قالوه أنه يجب حضور خصوصيات الفعل في الذهن والاخطار في القلب وأمثال ذلك أمور طرحها المتكلمون والفلاسفة وسنقع موضعاً للبحث والتحليل في محلها . هذا الكلام لا علاقة له بالنية في الفقه الإسلامي والعبادات الدينية ، إنهم يقولون : لأن النية إحدى الصفات النفسانية وإحدى حالات الإنسان الخطور وحيث أن البحث حول الصفات النفسانية في عهدتنا لذا نبحث في النية بصفة أنها خطور أي حالة نفسانية ، ومن البديهي أن هذا الكلام لا ربط له بالمباحث الفقهية في هذا المجال .

فخر المحققين في كتاب «الإيضاح» ذكر المطالب التالية في هذا

المورد :

«الكثير من المتكلمين عرفوا النية بأنها إرادة من الفعل باتجاه الفعل ومقارن له . وهم «المتكلمون» يقولون بوجود فرق بين النية والعزم حيث يرون أن العزم مسبوق بالتردد بخلاف النية . وبعض آخر من المتكلمين والفلاسفة فسروا النية بالإرادة الحادثة في مقابل إرادة الله التي ليست بحادثة أو على الأقل حدوثها ليس كمثل حدوث إرادتنا . هذا التعبير والعبارات ، أحياناً كانت تجد لها طريقاً إلى الكتب الفقهية المتأخرة وتطرح فيها . مع أنه مع الالتفات إلى اختلاف المباني لا لزوم لطرحها» .

فيما يتعلق بهذا الموضوع طرحت أبحاث واسعة من قبل فقهاء الإسلام الكبار مثل صاحب الجواهر والشيخ الأعظم الأنصاري (رحمهما الله) في مبحث الطهارة من كتب «الجواهر» و«الطهارة» فيستطيع أهل التحقيق المراجعة لهذه الكتب لكسب الاطلاع أكثر .

الإخلاص في النية :

أحد جوانب النية التي هي مورد لبحثنا هو جانب الإخلاص الذي يغني كل علماء الإسلام ببطلان العمل العبادي من دونه[١] .

أحد أدلة وجوب النية في العبادات الآية ٦ من سورة البينة حيث تقول:

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾ .

بناء على هذا عبادة الله يجب أن تكون مع الإخلاص والإخلاص هو

---

(١) وكلام البعض من العمل شوقاً للجنة أو هرباً من النار منافٍ للإخلاص غير صحيح ، حيث أن نية كهذه تلازم الإلتفات إلى الله والإعتقاد بالمعاد ومن المسلم به كلما ترقى الإنسان على أثر إتيان العمل العبادي فلن يكون له التفات بعد إلى الجنة ويكون نظره مقصوراً على الباري تعاله والتفاته إليه فقط .

هذه النية وقصد التقرب[1] . الدليل الآخر على وجوب النية هو العقل الذي طرح بحثه مفصل في أصول الفقه .

الدليل الثالث أيضاً شواهد من الروايات التي أشرنا إلى بعض أحاديثها مثل «لا عمل إلا بالنية» و «الأعمال بالنيات» وأمثالها .

خلاصة الكلام أنه بالالتفات إلى الأدلة المذكورة يصير وجوب النية في كل عمل عبادي أمراً مسلماً أما كيفيتها وغايتها فتلك مسألة أخرى يجب توضيحها بالاستفادة من الروايات ، في الكتاب الشريف وسائل الشيعة ، الجزء الأول في الباب ٩ من أبواب مقدمة العبادات تحت عنوان ما يجوز قصده من غايات النية وما يستحب اختباره»[2] يوجد حديث من مجلتها بهذا النص :

---

(١) هذه الآية وأمثالها مع أنها ناظرة إلى المعارف والعقائد والأمور القلبية فهي أيضاً شاملة للأعمال الجوارحية والأحكام ولا اختصاص لها بالعقائد والمعارف فقط . والقرائن التي تؤيد المطلب هي ما يلي :

(أ) سورة البينة مدنية وتمتاز السورة المدنية عن المكية أن السور المكية ناظرة على الأغلب إلى بيان العقائد والمعارف التوحيدية أما السور المدنية فهي تنظر عدا عن ذلك إلى بيان الأحكام والقوانين الفردية والاجتماعية التي تبني الفرد والمجتمع .

(ب) لفظ دين في عبارات «مخلصين له الدين» و «ذلك دين القيمة» بمعنى كلي الدين الذي هو شامل لكل من المعارف والأحكام . بناء على هذا الإخلاص في الدين أيضاً بمعنى الإخلاص في التوحيد وسائر العقائد وأيضاً يبين الإخلاص في جميع الأعمال التي يؤتى بها بعنوان الدين .

(ج) سياق الآية حين ذكر إقامة الصلاة وأداء الزكاة عقب الإخلاص في الدين مما يجعل شمول الآية للأحكام مسلماً إذ الصلاة والزكاة من أبرز الأحكام الفردية والاجتماعية .

(٢) في العنوان المذكور عبر بـ «ما يجوز» ولعل السبب في ذلك أنه يريد الإجابة عمن يقول بأنه لا يجوز نية نيل الجنة في العبادات بأنه جائز . ثم يقول «ما يستحب اختياره» يعني وإن كانت نية الجنة جائزة لكن المرتبة العالية من النية المستحبة هي أن تكون العبادة لأجل الله صرفاً وألا يضم هذه الاشكال من القصد .

عن أبي عبدالله (ع) قال : العبادة (إن العباد)[1] ثلاثة : قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب فتلك عبادة الأجراء وقوم عبدوا الله عز وجل حباً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة .

هذه الرواية الشريفة ونظائرها تقول إنه صحيح أن العبادات من جهة الخوف من العذاب أو طلباً للجنة صحيحة إذ تقول : قوم عبدوا الله كذلك فهي إذن عبادة لكن النوع الأعلى للنية التي يعمل لتحصيلها الإنسان الكامل والمترقي هي النية الخالصة لأجل الله تعالى . الإنسان الكامل يعبد الله لألوهيته وهذه أعلى درجة في نية العبادة لكن العبادة خوفاً من النار أو حباً بالجنة ليست باطلة ويؤمل قبولها من الله تعالى .

القسم الأول من البحث في النية بنظر الفقه الإسلامي ينتهي هنا وينبغي أن نذكر هنا أن الفقيه الذي بحث في هذا المجال بشكل أدق وكان له تحقيق ميداني في هذا المجال قياساً إلى سائر الفقهاء هو المرحوم الشيخ الأعظم الأنصاري (رضوان الله عليه) الذي بحثه في كتاب الطهارة مبحث نية الوضوء[2] قبل متابعة البحث حول نظر فقهاء الإسلام بالنسبة لضم شيء إلى قصد القربة في نية العبادات نشير إلى بعض التعابير التي وردت في القرآن الكريم حول النية .

في القرآن تارة عبر عن النية بلفظ الإخلاص وتارة بلفظ إرادة وجه الله .

في سورة الكهف وسورة الأنعام عبر بإرادة وجه الله :

﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه . . ﴾ [3].

---

(١) نسخة بدل .

(٢) كتاب الطهارة للشيخ الأنصاري (ره) من ص ٧٩ إلى ٩٠ وما بعدها .

(٣) سورة الأنعام ، آية : ٥٣ .

﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشي يريدون وجهه﴾[1] .

إرادة وجه الله هي هذه النية والتقرب إلى الله . يعني لا مقصود لهم من عبادة والطاعة والدعاء ليلاً وفي الصباح غير ذات الله ورضاه .

في بعض الآيات الأخرى من القرآن الكريم عبر عن النية بالإخلاص ، ونموذجها هو تلك الآية السادسة من سورة البينة التي تكلمنا حولها قبلاً . صحيح أنهم عرفوا أصل النية بالعزم وإرادة والقصد لكن يجب أن يكون الإخلاص من اللوازم التي لا تنفك عن النية وأساساً عندما يقال النية فالمقصود هو الإخلاص حيث أن القصد لإتيان الحركات مثل الوقوف والانحناء أو المحور والمركز للطواف والدوران حول البيت فمع صرف النظر عن الالتفات ورضا الله بالنسبة لإتيان هذه الأعمال لا يسمى ذلك نية القصد . يقال نية لذلك القصد والعزم على إتيان الفعل الذي يكون قصد التقرب إلى الله والإخلاص ملازماً ومرافقاً له . بناء على هذا الجوهرة الأصلية للنية هو هذا الإخلاص .

ضمائم النية :

في هذا المجال صرح بحث في الفقه الإسلامي أنه في حال ضم شيء آخر غير قصد التقرب إلى نية العبادات فما حكم ذلك ؟

ضميمة شيء للهدف محل النظر في الأعمال العبادية (قصد القربة وكسب رضا الله) يمكن أن يكون على عدة صور :

١ ـ ضميمة فعل مباح .
٢ ـ ضميمة فعل حرام .
٣ ـ ضميمة مطلوب شرعي .

---

(١) سورة الكهف ، آية : ٢٨ .

والآن نشرح ونبحث هذه الفروض مع الالتفات إلى نظريات الفقهاء الإسلامية .

١ - في مورد الفرض الأول أي ضميمة فعل مباح لنية العبادة يوجد نظريات مختلفة للفقهاء . كمثال على ذلك الفرض كلما نوى شخص الوضوء وضم إلى نيته هذه قصد التبرد أو تدفئة الوجه واليدين ، إجمالاً قال بعض الفقهاء : «إذا كانت هذه الضميمة من اللوازم التي تترتب بنفسها وتحصل حتى لو لم يقصد ، مثل الوضوء بالماء البارد سواء قصد التبرد أم لم يقصد فإن التبرد حتى من لوازم الوضوء بالماء البارد ويترتب بنفسه فهنا الإشكال» .

وهذا القول انتقده البعض أنه إذا كان الملاك ترتب اللازم على الشيء ففي المورد الذي يراءي فيه الشخص ويأتي بعمل حسن بشكل يكون توأماً مع الرياء ، أحد لوازم العمل الحسن وقوعه عملاً لثناء الناس وهذا يترتب بنفسه سواء قصد الرياء ومدح الآخرين له أم لا فيجب ألا يكون هنا أي إشكال أيضاً بناء على القاعدة . مع أنه من الواضح حسب الآيات والروايات أن قصداً كهذا محل إشكال ويوجب إبطال العمل .

أفضل قول وتوجيه ذكر في هذا المورد هو قول الشهيد ذي المقام العالي محمد بن مكي (الشهيد الأول) الذي قبله آخرون من جملتهم الشيخ الأنصاري وعملوا لتوضيحه . وهذا القول أنه يجب وزن هدف الفعل إذا كان الباعث على إتيان الفعل هو القصد الإلهي والشيء المباح الآخر الذي ضم لم يكن له حكم المحرك والعامل على الهدف فانضمام كهذا لا إشكال فيه . طبعاً حد الإخلاص أيضاً يعرف من هذا الطريق ودرجة الإخلاص مرتبطة بميزان تأثير الهدف الإلهي في وقوع كل عمل .

لكن إذا كان الهدف والباعث الأصلي لإتيان الفعل ذلك الأمر الذي صار ضميمة يعني تلك الجهة غير الإلهية (مثل التبريد والتسخين في الوضوء) فهذا محل إشكال وفي صورة كون كل من العاملين بنفس المستوى من التأثير في وقوع الفعل فصحة العبادة هنا أيضاً محل تردد . إذ قالوا أنه في باب

تعارض وتساقط القصدين لا يبقى قصد إخلاص ليكون الفعل صادراً عن نية إخلاص .

فخلاصة الكلام أنه كلما كان الباعث الأصلي والهدف المستقل للفعل هو الهدف الإلهي وقصد القربة فنيته خالصة مهما أتى بأمور مباحة أخرى إلى جانبه . وربما كان مقصود العلماء من طرح بحث لوازم الأمور هو لزوم تشخيص الدافع الأصلي من الشيعي فإذا كان الدافع الأصلي هو القصد الإلهي وكان قصد المباح تابعاً له ومن لوازمه ومرافقاً معه فلا ضرر في صحة النية .

٢ ـ الفرض الثاني يعني ضميمة قصد فعل حرام إلى نية عمل عبادي وهو يوجب البطلان بشكل متسالم عليه .

كمثال على ذلك كلما نوى شخص الإتيان بعمل عبادي كالصلاة أو الحج أو الجهاد مع الرياء (وهو قصد إراءة الآخرين لعمله) أو السمعة (وهو قصد إسماعه الآخرين) فعمله أولاً باطل . وثانياً لقد ارتكب حراماً يعني قد أذنب ويجب أن يتوب عن ذنبه . مع أنه في المورد الأول في صورة الإتيان بالعمل بهدف أمر مباح بدون قصد إلهي (مثل الوضوء لأجل تبريد الوجه واليدين) فهو وإن كان عمله باطلاً لكنه لم يفعل مراماً ولم يرتكب ذنباً .

٣ ـ في الفرض الثالث يعني ضميمة قصد عمل راجع ومطلوب شرعي إلى قصد القربة ، فهنا يوجد اتفاق في الرأي على أن هذا الأمر مؤكد لنية الإخلاص . وكمثال عليه نفرض شخصاً يذهب إلى المسجد ليصلي صلاته حيث يكسب ثواباً أكثر فنية كهذه تشتمل على قيمة وثواب أكبر بلا شك .

أحياناً يضم شيئاً لقصد الإخلاص في العمل فهذا يحسب نوعاً من الشرك . إذ أن هناك صورة من الشرك وهي عبادة غير الله التي تسمى الشرك الجلي . وهناك صورة أخرى للشرك وهي إرضاء الميل النفسي وضمها إلى القصد الإلهي في الأعمال وهذا المظهر من الشرك يسمى الشرك الخفي .

الإمام الخميني (قدس سره) يقول: لا تقبل أية عبادة من الله الغني إلا إذا كانت بنية خالصة».

عدم خلوص النية أحياناً يكون رياءً ظاهرياً الذي ذكر الفقهاء أنه مبطل للأعمال وأحياناً يكون رياءً غير ظاهر وله حالة قضاء وحتى لو لم يخرج من دائرة الصحة بحسب ظاهر الشرع إلا أنه ليس مورداً لقبول الله عز وجل.

التعريف الجامع للشرك والجامع لكلا قسميه الذي ذكره الإمام رحمه الله هو «إدخال غير رضا الحق» سواء كان رضا الناس الموجب لبطلان العمل أو رضا النفس يعني تهلل نفسه وهواها الممزوج برضا الحق طبعاً هذا لا يوجب بطلان العمل ولكنه شرك خفي ويصير العمل بلا قيمة، مثلاً من يصلي صلاة الليل من أجل التوسعة أو يعطي الزكاة من أجل تنمية أمواله وزيادتها في هذه الصورة صلاة الليل والزكاة لن يكون لها قيمتها الواقعية لأن إدخال رضا غير الحق بأي نحو كان يوجب فساد قيمة الأعمال.

بعض الفقهاء مثل الشهيد الثاني قالوا: «إدخال رضا غير الحق حتى لو كان نفس ميول الشخص مثل الخوف من النار والطمع بالجنة هذا أيضاً يوجب بطلان العبادة». من جملة العلماء الكبار الذين لا يرون إتيان العمل بقصد الطمع بالجنة أو الخوف من النار صحيحاً ومقبولاً السيد ابن طاووس (قدس سره). طبعاً يحتمل أن يكون مقصود هؤلاء العظماء من البطلان عدم مقبولية العمل عند الله لا البطلان الظاهري.

في الأمور العادية والمتعارفة أيضاً الأمر بهذا النحو. فلو أن شخصاً ذهب إلى عند شخصية عظيمة وقال له جئت إليك لإشباع بطني بضيافتك فإن هذا الكلام ينافي جلالة صاحب البيت وعظمته والشخص الذي يقوم بالفعل العبادي مثل صلاة الليل لأجل سعة يومه مثلاً هذا الشخص في الواقع أتى لأجل كسبه اليومي وعمل كهذا لا يتلاءم مع مقام التمجيد والتجليل الواقعي لله ذي الجلال.

الجمع بين النظريات :

لعل مراد فقهاء الإسلام مما ذكر أنه كلما كان قصد الضميمة المباحة في طول قصد رضا الله فلا إشكال أما إذا كانت هذه المقاصد في عرض قصد القربة ففي هذه الصورة أيضاً بناء على تلك الرواية التي تقسم العبّاد إلى ثلاثة مجموعات وجعلت العبادة أيضاً ثلاثة أنواع وأيضاً بدليل آية ستذكر قريباً جداً لا مانع من الصحة الظاهرية والشرعية كما أن مطلوبية هذا النوع من العبادات قد يستفاد من الآية أيضاً لكن بشكل عام فإن عبادة الأحرار الخالية من خوف النار أو الطمع في الجنة هي أفضل العبادات .

كما يحتمل أن الفقهاء أرادوا بالبطلان في مقابل الفضيلة في هذا النوع من العبادات أي أنه في مقابل كل هذه الفضيلة وكل هذا الثواب فإن العبادة خوفاً من النار أو طمعاً بالجنة إلى درجة من رخص الثمن بحيث تكاد تكون كأنها باطلة .

يقول الله تعالى في سورة الأعراف اية ٥٥ :

﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ .

يقول الله في هذه الآية الشريفة : ادعوا ربكم خوفاً وطمعاً أي في حالة وجود طمع بالثواب عندكم أو في حالة الخوف من العقاب فأنتم بحاجة إلى الله . هذا المطلب أي الطلب من الله خوفاً وطمعاً قد بين بصيغة الأمر فبناء عليه يكون أمراً مطلوباً ، لكن بالالتفات إلى ما قبل الآية وما بعدها والنهي **﴿لا تفسدوا في الأرض﴾** الذي جاء أول الآية يعلم أن الخطاب في الآية ليس للمؤمنين أصحاب الإيمان القوي وللناس أصحاب التعالي بل الخطاب للأشخاص الذين يستوي الظن بالحسن والفساد تجاههم . فهذه شواهد على أنه في هذه الموارد ليس الكلام عن الدرجات العالية للعبادة ولكن لا ترديد إن

هـذا النـوع من العبـادات والـدعـاء والتضـرع لله تحسب من جملة العبــادات والأمور المطلوبة شرعاً .

وكذلك يقول الله تعالى في سورة الحج آية ٧٧ :

﴿يـا أيها الـذين آمنوا اركعـوا واسجدوا واعبـدوا ربكم وافعلوا الخيـر لعلكم تفلحون﴾ .

في هذه الآية رغب المؤمنين بإتيان العبادات والأعمال الحسنـة والركـوع والسجود ليحصلوا الاستقامة والفلاح ، والفلاح كما يمكن أن تستعمـل بمعنى غاية الكمال الإنساني والوصول إلى الـدرجات العـالية من التكـامل لكـل أحد معـانيها وتصـاديقها هـو الثواب الأخـروي . فـالعبـادة إذن إذا أتى بهـا بقصـد الـوصول إلى الثـواب أيضاً عبـادة . لكن كما قلنـا قبلاً من أن هـذا النـوع من العبـادة مرتبـة من العبادة والمصـداق للدرجة العـالية من العبـادة هـو الأعمـال الخالصة والفارغة من كل نحو من الغايات ما عدا الله تعالى .

وكـذلك لإثبـات وتأكيـد هذا المـطلب من أن النية المبنيـة على الطمـع بـالجنة والثـواب أو الخوف من العقـاب لا مانـع منهـا وتحسب عبـادة بلحـاظ الشرع . نذكر قسماً من وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) المـروية في الجـزء ٧٠ من «بحار الأنوار» نقلاً عن الشيخ الطوسي .

يقول الإمام علي (ع) في مقدمة وصيته بعد البسملة :

هذا ما أوصى بـه وقضى به في مـاله عبـدالله علي (عليه السـلام) ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويصرفني به عن النـار ويصرف النـار عني يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه .

يمكن أن يتوهم البعض أن مضمون هذا الكلام ينـافي كلام الإمـام علي (ع) الذي جعل فيه العبادة طمعاً بالجنة وخوفـاً من النار عبـادة الأجراء وعبـادة العبيد وإنها محل إيراد ومردوده وإنه قـال (عليه السـلام) بصراحة إني رأيت الله أهـلاً للعبادة فعبـدته ، لكن الصحيـح إن هـاتين الـروايتين يكمـلان ويؤيـدان

بعضهما .

في رواية ، قسم الإمام (ع) العبادة إلى ثلاثة أقسام وقال العبادة ثلاثة أنواع :

١ ـ عبادة العبيد ، ٢ ـ عبادة الأجراء ، ٣ ـ عبادة الأحرار ، وذكر هناك أن عبادته من نوع عبادة الأحرار وإنها بسبب معرفة عظمة الله وهي لأجله فقط .

وهذا الكلام لا يعني أن ذانك النوعان من العبادة لا يمكن أن يقعا قصداً بنحو العَرَضَ بل يمكن أن تدخل الجنة والنار في نية العبادة بالعرض .

في هذه الوصية أيضاً الإمام (ع) ابتداءً ذكر أن غاية أعماله ابتغاء لوجه الله ، ثم ذكر أن دخول الجنة والفرار من النار بعنوان غايات تبعية وعرضية حيث أن الله تعالى يقول : ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾[1] فبناء على هذا كل عمل حسن له ثواب لا يضيع ولا يبطل أبداً وثواب المحسنين هو جنات الخلد الإلهية .

بناء على هذا ليست استفادة من استفاد من هذه الرواية إن قصد الدخول إلى الجنة والانصراف عن النار بعنوان القصد الأصلي للعبادة صحيحة ولا استفادة من استفاد من رواية : «بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك» إن هذه المقاصد منفية حتى بعنوان الغاية العرضية والثانوية صحيحة .

الاستفادة الصحيحة من كلام أمير المؤمنين (ع) أن العبادة يجب أن تكون لرضا الله فقط ولا مانع من إلحاق مقاصد أخرى مثل الخوف من العقاب أو الطمع بالثواب بصورة عرضية وشكل ثانوي .

طبعاً يجب الإلتفات إلى أنه عندما قال أمير المؤمنين (ع) : «ليولجني» أو «ليصرفني» فهذه اللام ليست للغاية بل الغاية والمقصود الأصلي من عمله (ع) هو ابتغاء وجه الله الذي ذكر مباشرة بلا فصل وسائر الموارد من قبيل

---

(١) سورة يوسف ، آية : ٥٦ .

دخـول الجنة والفـرار من جهنم من نتائـج ذلك وهي في طـول الغايـة الأصلية وتبعـاً لها . وحسب الإصـطلاح تعـد الغـايـة الأدنى ومن المسلّم بـه أن ذلـك المقصود العامي يجعل تلك المقاصد النازلـة تحت شعاعـه ، ومن البديهي أن الغاية الأدنى لا تستطيع جعل الغاية الأعلى كذلك أبداً .

مقصود الفقهاء العظام وبعض العلماء من قولهم : «إن نية هذه المقاصد وإن أسقط التكليف إلا أنـه لا يقع مقبـولاً عند الله الغني لأنـه لا يحتـوي على الخلوص» هـو هـذا أن هـذه المقـاصـد يجب أن تكـون تبعـاً للهـدف العـالي والمقصد النهائي الذي هو رضا الله .

وقـد نقلت روايـة عن الإمـام الصـادق (ع) في أصـول الكـافي بـاب الإخلاص تؤيد هذا المطلب ، وهي بهذا النص :

عن سفيان بن عيينة ، عن أبي عبـدالله (عليه السـلام) قال : سـألته عن قـول الله عـز وجـل : ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾[1] قـال : القلب السليم الذي يلقى ربه وليس فيـه أحد سـواه قال : وكـل قلب فيه شـرك أو شك فهـو ساقط وإنما أرادوا[2] الزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة [3].

المقصود من الحديث أن القلب لكي يتـوجه إلى المقصـد الأعلى يجب أن يفرغ من الشك والشرك . من المناسب في هذا المقام أن نطرح بحثاً حول الشرك والشك وأن نذكر أحاديثاً في هذين المجالين ونعمل على تحليلها .

الشـرك :

الشرك في الثقافة الإسلامية بمعنى جعل شريك لله عـز وجل ، والشـرك عدة أنواع نوع من الشرك كان كثير الرواج في الجاهلية وهو عبادة معبود ، إلى جانب عبادة الله . وهذا الشرك يسمى الشرك الجلي وبطلانه مسلم . نوع آخر

(١) سورة الشعراء ، آية : ٨٩ .

(٢) في بعض النسخ «أراد» بشكل يرجع الضمير إلى الله .

(٣) أصول الكافي ، كتب الإيمان والكفر ، باب الإخلاص حديث ٥ .

من الشرك هو إدخال رضا غير الله في عبادة الله . ورضا غير الله قد يكون رضا الطاغوت أو أرباب الدين وقد يكون رضا النفس وهواها وميولها ، كمثال على ذلك ابتداع أمور في مجال العبادات مما لا أصل شرعي له إدخال لرضاه وشيء مما ليس موافقاً للقانون الإلهي .

سأل أبو بصير وإسحاق بن عمار الإمام السادس (ع) حول الآية ١٠٦ من سورة يوسف التي تقول : **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾** فقال (ع) :

يطيع الشيطان من حيث لا يعلم فيشرك[١] .

وينقل خريس كذلك حول هذه الآية عن الإمام الصادق (ع) أنه قال :

«شرك طاعة وليس شرك عبادة»[٢] .

بناء على هذا يعلم أن الشرك دوماً هو اختيار معبود آخر مع الله ، بل كم من الناس لا يعبدون غير الله لكنهم مشركين وذلك من طريق ترجيحهم لطاعة غير الله على طاعة الله ، سواء كانت هذه الطاعة لهوى أنفسهم أو للطاغوت واتباع الشيطان وعلى أية صورة هو شرك بالله .

في تتمة الحديث السابق ينقل خريس عن الإمام الصادق (ع) أن الإمام (ع) قال في تفسير الآية ١١ من سورة الحج : «ومن الناس من يعبد الله على حرف» :

إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون في أتباعه . ثم قلت : كل من نصب دونكم شيئاً فهو ممن يعبد الله على حرف ؟ فقال : نعم ، وقد يكون محضاً[٣] .

---

(١) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الشرك حديث ٣ .

(٢) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الشرك ، حديث ٤ .

(٣) يحتمل أن يكون المراد من «قد يكون محضاً» في هذا الحديث غير شامل للشخص الشمول في الآية الكريمة وأتبعه خصوصاً مع الالتفات إلى وجود نقل آخر للرواية

يعني كل من يقيم ولاية أخرى مقابل الأئمة المعصومين (ع) سيكون من المشركين ويحسب ممن يعبدون الله على حرف . وكم قد بدل هذا المسلك بالشرك المحض . نموذج العبادة لله على حرف هو مسلك الشخص الذي يكون واقفاً مع الجيش لكي ينال شيئاً من الغنائم فيما لو انتصر أما لو انهزم فيسرع في الفرار ويتبرأ من ذلك الجيش .

يمكن أن يستفاد من هذه الرواية أن تعيين إرادة في مقابل الكتاب والسنة وإرادة شيء على خلاف رضا الأئمة المعصومين (ع) - الذي هو رضا الله - يحسب شركاً وغالباً ينتهي هذا الشرك إلى الشرك المحض .

والحديث الآخر في هذا الباب ما يلي :

يونس عن داود بن فرقد عن حسان الجمال عن عميرة عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال :

سمعته يقول : أمر الناس بمعرفتنا والرد إلينا والتسليم لنا ، ثم قال : وإن صاموا وصلوا وشهدوا أن لا إله إلا الله وجعلوا في أنفسهم أن لا يردوا إلينا كانوا بذلك مشركين[٤] .

بناء على هذا عدم قبول ولاية الأئمة المعصومين (ع) يعد نوعاً من الشرك ، إذ أن الرجوع إلى الإمام في معرفة الأحكام والمعارف الإسلامية وكذلك لأجل معرفة التكليف في الأمور الاجتماعية وإيكال تعيين الحكم في الدعاوي والأمور القضائية للإمام كل هذه تعد من فروع الولاية ، بشكل عام إقامة رضاه وإراداته أو إرادة الآخرين في مقابل رضا وإرادة الأئمة المعصومين (ع) شرك خفي إذ هو في الواقع رضا غير الله مقابل رضا الله حيث أن رضا الإمام والنبي في الواقع هو رضا الحق المتعال وكم قد بُدّل هذا الشرك الخفي

بلفظ «مختصاً» بدل «محضاً»» لكن إذا كان محضاً صفة لخبر محذوف ربما كان أنسب ، يعني «قد يكون شركاً محضاً» على الخصوص بقرينة سؤال الراوي .

(٤) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الشرك ، حديث ٥ .

بالشرك الجلي .

وهناك حديث آخر في هذا الباب يؤيد ويؤكد المطلب أعلاه وهو :

عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن عبدالله بن يحيى الكاهلي قال : قال أبو عبدالله (ع) : لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم قالوا الشيء صنعه النبي (ص) : ألا صنع خلاف الذي صنع ؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين ثم تلا هذه الآية : **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**[1] ثم قال أبو عبدالله (عليه السلام) فعليكم بالتسليم[2] .

بناء على هذا فالملاك في الشرك هو اتخاذ رأي ونظر آخر في مقابل رأي ونظر الله ورسوله (ص) وأوصيائه (ع) ، وعلامة التوحيد هي التسليم في مقابل الله ورسله بالحق . إدخال نظر الإنسان في الأحكام الإلهية انحراف عن التوحيد ومظهر من الشرك .

الحديث الآخر المكمل للمباحث المطروحة :

عن أبي بصير قال : سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل : **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾**[3] فقال : أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم ولكن أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون[4] .

---

(١) سورة النساء ، آية : ٦٥ .

(٢) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الشرك ، حديث ٦ .

(٣) سورة التوبة ، آية : ٣١ .

(٤) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الشرك ، حديث ٧ .

بناء على هذا يعلم أن عبادة غير الله والشرك به لا ينحصر بالعبادة والركوع أمام الأصنام والتأييد الكامل لهذا المطلب في حديثٍ آخر باب الشرك من كتاب أصول الكافي عن الإمام الصادق (ع) أنه قال :

من أطاع رجلاً في معصية فقد عبده .

مع الإلتفات إلى الأحاديث أعلاه يعلم أن الشخص الموحد يجب أن يقصد بنيته رضى الله ولا يشرك في نية عبادة الله غيره سواء كان ميله وإرادته نفسه أو شخص آخر أو الشيطان .

مفاد الأحاديث أعلاه تدل على مستوى نفوذ عقائد وأعمال الشرك في وجود الإنسان . هذا الموضوع يؤكد فداحة مسؤولية الإنسان قبال حفظ اعتقاداته الدينية والمعرفة الدقيقة للأحكام والعقائد الإسلامية من منابعها الحقيقية .

وقد روي حديث آخر عن الإمام الصادق (ع) في كتاب وسائل الشيعة مبحث الصلاة أحكام الملابس عن معاني الأخبار للشيخ الصدوق (رحمه الله) يؤيد ويؤكد المطلوب أعلاه .

قال الإمام الصادق (ع) : إن الشرك أخفى من دبيب النمل وقال : منه تحويل الخاتم ليذكر الحاجة وشبه ذلك .

والآن وقد اتضح موضوع الشرك فمن المناسب أن نذكر بعض المطالب حول الشك ونورد بعض الروايات إذ في روايات باب الإخلاص من كتاب أصول الكافي التي أكثرها حول القلب السليم قد ذكر عوامل سقوط القلب ، والشرك والشك .

الشك :

قبل ذكر روايات الشك وتحليلها من المناسب أن يجاب أولاً على هذا السؤال أن هل كل شك هو ممنوع في نظر الإسلام ؟ ما هو نظر الإسلام بالنسبة للشك الذي هو مقدمة للتحقيق ؟

الجواب عن هذا السؤال أنه لا ليس كل شك مذموماً في الإسلام . الشك المذموم في شريعة الإسلام المقدسة هو «الشك المستقر» لا «الشك الابتدائي» . الشك الذي هو مقدمة لليقين ليس فقط لا إيراد عليه بل هو أيضاً مفيد وبناء . هذا النوع من الشك هو نفسه من أعمدة العلم والمعرفة لأنه سبب للتحقيق وفي النهاية يوجب حصول اليقين .

طريقة الأنبياء العظام في التعامل مع الكفار وعبدة الأصنام كانت غالباً من طريق إيجاد الشك فيهم ودعوتهم للتعقل حول ذلك . وقصة النبي إبراهيم (ع) ـ في مورد تمشيه مع عبدة الشمس والقمر والنجوم وتوجيه الأشياء إلى نقطة الضعف الأساسية فيهم التي هي أفولهم وغروبهم ـ ناظرة إلى هذا المطلب ـ وكذلك كان كسر الأصنام بواسطة النبي إبراهيم (ع) وإلفات الناس إلى ضعف الأصنام في الدفاع عن أنفسهم وعدم لياقتهم للعبادة لأجل إيجاد الشك في قناعاتهم التي بلا أساس وتأسيس عقائد محكمة وثابتة لهم .

هذا النوع من الشكوك ليس فقط أنها غير مذمومة ولا مطرودة بل هي مقبولة ومطلوبة من الشرع المقدس أيضاً ، ذلك الشك الموجب لسقوط القلب ـ الذي هو تبلور إنسانية الإنسان ـ هو الشك الناشىء عن العناد والوسوسة والحسد والإنكار العيني . هكذا شك لن يكون أبداً منشأ للتحقيق والتعقل بل هو لباس للعقائد والمناهج الغير المعقولة وعامل لتغطية الحق ومحاربته .

من أجل توضيح المطلب نجعل روايات هذا الباب بشكل عام مورداً للبحث والتحليل[١] .

الحديث الأول من أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الشك ، بهذا النص :

---

(١) طريقة الإمام الخميني (قدس سره) والعلامة الطباطبائي (قده) كانت بالبحث عن مدلول رواية عن طريق تحليل كل رواياتها وهذه الطريقة مقبولة جداً إذ من الممكن كون رواية ذات مفهوم عام وقيدها في رواية أخرى أو مجملة وبيانها في أخرى .

علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن الحكم ، قال : كتبت إلى العبد الصالح (عليه السلام) أخبره إني شاك وقد قال إبراهيم (عليه السلام) : «رب أرني كيف تحيي الموتى» . وإني أحب أن تريني شيئاً ، فكتب (عليه السلام) أن إبراهيم (عليه السلام) كان مؤمناً وقد أحب أن يزداد إيماناً وأنت شاك والشاك لا خير فيه وكتب إنما الشك ما لم يأت اليقين فإذا جاء اليقين لم يجز الشك وكتب أن الله عز وجل يقول : **﴿ما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾**[1] قال : نزلت في الشاك[2].

في هذا الحديث الشريف بينت نظرة الإسلام بالنسبة للشك بشكل جيد . الشك ما دام مقدمة لليقين فهو محترم وذو قيمة لكن عندما يأتي اليقين يجب أن يزول وإلا كان منشأ لنقض العقيدة والفسق والمخالفة . الحديث الآخر في هذا الباب عن أبي بصير بهذا النص :

عن أبي بصير قال : سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل : **﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾**[3] قال بشك[4] :

في هذا الحديث فسر الظلم بالشك . من هنا يفهم أن الظلم لكل شيء بحسبه . والظلم للإيمان هو الشك .

الشك في نظر الفقه الإسلامي له أنواع . إذا كان الشك في الدين ويصل إلى الجحد والإنكار فصاحبه كافر كفراً جحودياً وكلما كان شكه أضعف

---

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٠٢ .

(٢) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الشك ، الحديث ١ . نظراً لكون الإمام موسى بن جعفر (ع) قضى أكثر عمره الشريف في السجن وكل علاقة به كانت موجبة لاعتقال الأفراد . لذا كان شيعة الإمام (ع) رعاية لنكات أمنية يسمون الإمام (ع) في محاوراتهم وكتاباتهم بالعبد الصالح وأمثال ذلك ، وكذلك بسبب وجوده (ع) في السجن فقسم من رواياته الواصلة إلينا هي بصورة مكاتبات .

(٣) سورة الأنعام ، الآية : ٨٢ .

(٤) أصول الكافي ، باب الشك ، الحديث ٢ .

ولم يصـل إلى حد الانحـراف عن الدين فـلا يمكن الحكم بكفره ، بـل تعبير الفسق الذي في الآية ١٠٢ من سورة الأعراف أنسب لأفراد كهذا .

وفي كتاب أصول الكافي باب الشك وردت رواية بهذا المضمون :

كان محمد بن مسلم جالساً إلى يسار الإمام الصـادق (ع) وزرارة جالسـاً إلى يمينه عندما ورد أبو بصير وسأل : يا أبا عبدالله : ما حكم الشاك في الله ؟ أجاب (ع) : كافر . قال : إذا شك في رسالة رسول الله (ص) فمـاذا ؟ أجاب (ع) : كافر . عندها نظر (عليه السلام) إلى زرارة وقال : يصير كافراً إذا جحد وأنكر .

وينقل في كتاب المحاسن ص ٨٩ أيضاً عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن ابن سنان عن الإمام الصادق (ع) أنه قال :

من شك في الله ورسوله فهو كافر .

وقد وردت رواية عن أمير المؤمنين (ع) في باب الشك في كتاب أصـول الكافي نصها كما يلي :

إن الشك والمعصية في النار ليسا منا ولا إلينا[1] .

يقول الإمام (ع) إن طـريق الشك والمعصية باتجـاه النار وليست لـه أية نسبـة إلينا نحن الأئمـة ، ليس منا ولا إلينـا طريقـة المعصومين تجـانب الشك والمعصية لأن علمهم لا نقصان فيه لكي يقعوا بـالشك ولا يـوجد في نفـوسهم ضعف وفتور كي يتلوثوا بالذنوب . مقصوده (ع) ظـاهراً هـو أنه من كـان على طـريقنا فـلا يجب أن يبقى أسير الشـك أو يلوث ذيله بالمعـاصي . ثم يتـابـع الإمام (ع) فيقول : «ولا إلينا» يعني أن نهاية عمل المثليين بـالشك والمعصيـة أيضاً وليست باتجاهنا . يعني إذا لم يتجاوزوا قلعة الشـك فسيقعون في حفـرة الكفر والجحود .

---

(١) الحـديث في «قـرب الإسنـاد» ص ١٧ و «ثـواب الأعمـال» ص ٢٣١ و «المحـاسن» ص ١٤٩ سند صحيح أيضاً .

وقد رويت أحاديث أخرى كذلك في هذا الباب عن الأئمة المعصومين (ع) وإن كان قسم منها مرفوعاً[1] لكن بعد عرض الروايات الصحيحة والموثقة في هذا المجال لا يكون ذكر تلك الأحاديث أيضاً بلا فائدة .

قال الإمام الباقر (ع) : لا ينفع مع الشك والجحود عمل [2].

ذكر الجحود بعد الشك قرينة على أن نوع الشك المراد في هذا الحديث هو الشك المنتهي إلى الجحود .

وقد نقل أيضاً حديث آخر عن الإمام الصادق (ع) أنه قال :

عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : من شك في الله بعد ما ولد على الفطرة لم يفِ إلى خير أبداً [3].

خلاصة الكلام أنه مع التوجه لمفاد الأحاديث أعلاه يعلم عدة أمور :

١ ـ لا مانع من الشك الابتدائي خصوصاً الشك الذي يبعث على التحقيق في مسألة دينية الذي ينتهي إلى اليقين . هذا الشك بنّاء بالنسبة للشباب والمبتدئين في سلوك وادي التفكر والتعقل ، بشرط أن يستفيدوا من إرشاد العلماء المخلصين .

٢ ـ الشك الذي يوجب الكفر . هو الشك الذي مرجعه إلى الجحود والإنكار .

٣ ـ الشك بعد اليقين مذموم ، وهذا الشك لا يجتمع مع الإيمان .

٤ ـ الشك في مرتبة أعلى نسبة إلى الريب ، يعني الإنسان يبتلى بالريب أولاً ثم يتبدل ريبه شكاً . ما يقوله القرآن الكريم أنه : ﴿لا ريب فيه﴾[4] يعني لا

---

(١) الحديث المرفوع هو الذي حذف شخص أو أكثر من وسط سنده أو آخره مع التصريح بالحذف وكذلك الحديث الذي لم تذكر نسبته للمعصوم يسمى مرفوعاً .

(٢) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الشك ، حديث ٧ .

(٣) أصول الكافي ، كتاب الإيمان والكفر ، باب الشك حديث ٦ .

(٤) سورة البقرة ، آية : ٢ .

يوجد في القـرآن محلاً للريب ليـوجب ذلك الشـك . الآن بعد أن صـرنا على بصيـرة بـالنسبـة إلى مقـولتي الشـرك والشـك بـالاستفـادة من كـلام وأحـاديث المعصومين (ع) نلقي نظرة أخرى على الحديث رقم ٥ من باب الإخلاص من أصول الكافي الذي وصلنا في توضيحه إلى هذا الموضع .

الإمام الصادق (ع) يقول : القلب السليم هو الـذي يلاقي الله ليس فيـه أحد غيره وكل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط ولا قيمة له .

الجمع بين الشك والشرك في هذا الحديث يدل على أنـه ليس المقصود الشك الابتدائي بل الشك الذي له سخية مع الشرك . شك كهذا يوجب زوال اليقين . ومنشأ شك كهذا هو نفسه أيضاً منشـأ للشرك . يعني إذا كـان الإنسان لم يحاول إزالة هذا الشك وتبديله باليقين يصير هذا الشك له يحـذّر في وجود الإنسان ويستقر ولا يكون له نتيجة سوى الشرك والكفر والإلحاد .

من الممكن أن تمنع نبع الماء (بالرفش) لكن لو امتلأت فلن تستطيع ذلك حتى بفيل .

على أيـة حال فهـذا العامـل أي الشـك والشـرك من مـوانـع الإخـلاص ويسقط القلب عـن السـلامة . وذلـك الحديث الشـريف أيضاً بين طـريق بنـاء القلب السليم . إذ يقول : إن أولياء الله زهدوا في الدين لتفرغ قلوبهم للآخرة «الزهد» بمعنى عدم الميل وعدم الارتباط بالدنيا وهو يتـلاءم مع كـل من الفقر والغنى . المذموم هو ارتباط القلب وتعلقه بمظاهر الدنيا من قبيل المال والولـد وأمثال ذلك وإذا لـم يكن ذلك الارتباط موجوداً فـامتلاك الثـروة والقدرة والـولد واستعمـال هـذه الأمـور في طـرق يـرضـاهـا الله ومن أجـل تحسين أوضـاع المحتـاجين وتأسيس مؤسسـات الأعمال الحسنـة مطلوب للغـايـة ومـرضي ولا ينافي الزهد الإسلامي بأي وجه من الوجوه .

زاوية من الآثار المترتبة على النية في نظر الفقه :

فيمـا يتعلق بآثـار النية يـوجد بحث في أصـول الفقـه بعنـوان «التجـري والانقياد» ، والفقهاء بحثوا بشكل مفصل في هذا المجال لتناسب هذه المسألة مع مسائل أخرى (مما لا ضرورة لذكرهـا هنا) والبعض بحثـوها لمنـاسبة بحث

القطع مثل الشيخ الأنصاري (رحمه الله) في كتاب الرسائل . وخلاصة البحث ما يلي :

«كلما أقدم الإنسان على عمل فعل بعزم وإرادة وكان في نظره معصية معلومة ولكن بعد ارتكابه تبين له أنه لم يكن معصية بل كان جائزاً ومباحاً . فهل هذا الشخص عاص ويستحق العقاب بسبب عزمه وقصده لفعل الحرام وإقدامه عليه بإرادته واختياره ؟ أم إنه غير مذنب لكونه لم يقع في فعل الحرام» ؟

وكمثال على ذلك لو أراد شخص غصب مال الغير عمداً وأخذه لكن بعد وقوع الأمر علم أن هذا المال كان ماله طبعاً هنا قبح فاعلي لا فعلي .

نموذج آخر : لو وضع شخص زجاجة من الشراب المحرم في بيته لكن قامت زوجته بتبديلها بشراب محلل مشابه الطعم وقام ذلك الشخص بشربه ، مع العلم والاختيار متصوراً أنه ذلك الشراب المحرم . فهل هذا الشخص يؤاخذ ويعاقب بسبب نيته وتصميمه على شرب الخمر وقيامه بإتيان فعل على أساس هذا الهدف ؟ أم أنه حيث أنه لم يشرب الخمر ليس عليه أي ذنب ؟ وإنما يكون عزمه وقصده محلاً للذم دون ترتب ذنب وعقاب على عمله .

هذا المطلب يبحث في مبحث التحري الذي كأنه مأخوذ من جرأة الإنسان في مقام العمل .

في مبحث الانقياد والطاعة تقع عكس هذه الحالة محلاً للبحث وبشكل عام لو أن شخصاً صمم على فعل أمر خير أو مباح وأتى به ثم علم فيما بعد أنه كان حراماً وليس له حق شرعي بارتكابه فهل شخص كهذا مذنب ؟ أو إنه بسبب امتلاكه لنية الخير وعزمه عليه ليس فقط إنه غير مذنب بل إنه محسن ويستحق القول الحسن ؟ أو إنه لا عاص ولا مصيب إذ لم يكن له قصد المعصية ولا إنه أتى بعمل خير .

في مورد التجري وإن كان أكثر العلماء والفقهاء لا يرون فيه الحرام من دون فعله معصية ولا يرون صاحبها عاصياً ومستحقاً للعقاب لكن سياق

الـروايات والأحـاديث عن المعصـومين (ع) حـاك عن أن نيـة السـوء نـوع من المعصية يمكن أن تسميها معصية قلبية .

مضمون الآيات والروايات في هذا الموضوع أن المحاسبة الإلهية تجري على القلوب . مهمـا نـوى الإنسـان من أعمـال لم يـرتكبهـا فسيكـون محـلاً للحساب على أية حال ، وإن كان فيما بعد (أو حين المحاسبة) محلاً للعفو أو عدم المؤاخذة أيضاً . يقول القرآن الكريم :

﴿لله مـا في السمـاوات ومـا في الأرض ، وإن تبـدوا مـا في أنفسكم أو تخفوا يحاسبكم بـه الله فيغفر لمن يشـاء ويعذب من يشـاء والله على كل شيء قدير﴾[1] .

يستفـاد من ظاهـر الآية الشـريفة أن مـا يخفيه الإنسـان في نفسه وإن لم يصل إلى مرحلة الظهور فإن الله يحاسبه عليه . وذلـك الأمر القلبي سـواء كان خيراً أو شراً فهـو مورد للمحـاسبة ، ثم يكـون مورد للعفـة والمغفرة الإلهيـة . ويمكن أن يتصـور أن هـذه الاستفـادة تنـافي تلك المجمـوعـة من الآيــات والـروايات الحـاكية عن عـدم المؤاخذة بـالنسبة إلى الـذنوب القلبيـة . مع أن الصحيح أنه لا يوجد أي نـوع من المنافـاة بين هاتين المجمـوعتين في الآيات والروايات بـل هما يكمـلان بعضهما . الله تبـارك وتعالى بتفضله يعـطي ثواب العمـل الحسن عشرة أضعـاف وأحيانـاً يعفو عن ذنب المؤمن . يقـول القـرآن الكريم :

﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة لا يجزي إلا مثلهـا وهم لا يظلمون﴾[2] .

الأصـل القرآني يثني على هـذا الأمر من أن المكتسبـات القلبيـة محـل للمؤاخذة حيث يقول :

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٤ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٦٠ .

﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم﴾ [1].

لكن كما يستفاد من صفات الغفور الحليم التي ذكرت في نهاية الآية فإن الله تعالى بفضله وكرمه يعفو عن بعض الحالات بل المعاصي للمؤمنين. ومن جهة أخرى فهو يثيب على نية الإتيان بالمستحبات حتى لو لم يوفق الإنسان لنفس العمل.

والآن ننقل رواية تشير إلى هذا المضمون.

في كتاب وسائل الشيعة، الجزء الأول، باب «استحباب نية الخير والعزم عليه» الحديث السادس روي بهذا الشكل:

عن أحمد بن محمد عن علي بن حديد عن جميل بن دراج عن زرارة عن أحدهما (عليهما السلام) قال: إن الله تبارك وتعالى جعل لآدم في ذريته أن من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتبت له عشراً ومن هم بسيئة لم تكتب عليه ومن هم بها وعملها كتبت عليه سيئة.

في قسم آخر من أحاديث هذا الباب، نسب هذا الأمر للمؤمن، يعني كلما قصد المؤمن ارتكاب عمل سيء ولم يرتكبه فإن الله يعفو عنه ولا يكتب عليه. ولعل السبب في ذلك أن المؤمن بسبب تقواه وإيمانه قليلاً ما يتفق أن يقصد الأعمال الغير اللائقة حال الغفلة أو علية هوى النفس ويقوم بها. أما الكافر فلا سبب يمنعه في حال فقدان المانع الخارجي من إجراء مشاريعه المشؤومة.

بناء على هذا فالأصل هو أن تكون النوايا والتصحيحات القلبية مورداً للمؤاخذة ما لم يشملها عفو الله ومغفرته وطبعاً فقد تقرر أصل ثانوي أيضاً من أن النيات والتصحيحات القلبية تقع مورداً للعفو والمسامحة وليس عليها أية مؤاخذة.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٥.

الشاكلة الإنسانية :

في نهاية الحديث محل البحث يشير الإمام الصادق (ع) إلى الآية ٨٤ من سورة الإسراء : ﴿**قل كل يعمل على شاكلته**﴾ وفسر الشاكلة حينها بالنية . فمن المناسب أن نتعرض في هذا المقام لتحليل مختصر حول الشاكلة .

في كتب اللغة رددت الشاكلة بالمعاني التالية : الطريقة ، الناحية ، السجية ، الجديلة ، الجبلّة ، الخليقة ، الجهة ، المذهب ، النية و . . الخ .

بالنسبة للمعاني المذكورة للشاكلة يمكن القول أن كلها أو أكثرها ناظرة إلى معنى واحد . في الواقع الشاكلة هي الشيء الذي يكون بنفس شكل الإنسان ومشابهاً له فتكون تشخصات الإنسان وتعيناته مرافقة له . في اللغة الفارسية كلمات «خوي» (نفسية) و «مش» (طريقة) يمكن أن تكون إلى حد ما «شاكلة» بإزاء اللغة .

البيان الذي ذكره الإمام الخميني (قدس سره) في متن الأربعين بهذا الشكل :

«كل شخص يعمل على شاكلته والأعمال تابعة لشاكلة النفس وشاكلة النفس وإن كانت هباة باطن الروح والملكات المختمرة فيها لكن النيات هي الشاكلة الظاهرية للأنفس .

يمكن القول أن : «الملكات هي الشاكلة الأولية للنفس والنيات هي شاكلتها الثانوية والأعمال تابعة لها» وهذا التفسير مستفاد من الروايات التي أشير إليها سابقاً .

الإنسان مقيد بنهج خاص وطريقة خاصة وخلق ونفسية تشخص أعماله وتصرفاته .

وكأن الإنسان يقيد نفسه ويحددها في تلك الخلقيات والملكات والحالات التي ترسخ في نفسه وذاته والخلاصة أن أعمال الإنسان وتصرفاته ناشئة من نياته ونيات كل شخص متناسبة مع إخلاصه وملكاته .

وكمثال على ذلك أعمال وتصرفات الشخص المتدين تحكي عن ديانته الباطنية وشاكلته . كذلك الأعمال والمسلك الشجاع لشخص شجاع يحكي عن صفة الشجاعة وشاكلة الشجاعة التي كأنها تتشابه وتتناسب مع ذاته وبهذا السياق تصرفات وعمل الأفراد الجبناء أو المتكبرين أو المتواضعين أو العجولين أو الباردين . . . فإنها تنشأ من منحى باطني ومن ملكاتهم وروحياتهم الذاتية . وبحسب المثل المعروف : «كل أناء بما فيه ينضح» في الحقيقة فإن باطن الإنسان هو الذي يؤثر في تصرفاته وأعماله الأرضية الأساسية بل عامل ظهور الآثار والأعمال لكل شخص هي شاكلته التي لها ارتباط مباشر وشديد الالتصاق بنياته وأعمال الإنسان .

طبعاً يجب الإلتفات إلى هذه النكتة أن دور الشاكلة في أفعال الإنسان وأعماله هو دور الاقتضاء وصرف الأرضية لذلك وبعبارة أخرى شاكلة كل إنسان بالنسبة لأعماله وتصرفاته هي «العلة المعدة» لا «العلة التامة» . بناء على هذا الإنسان صاحب الذات (الشاكلة) الغير المرضية لا يكون مسلوب الإرادة والاختيار بالنسبة لصدور التصرفات والأعمال السيئة منه وهو يستطيع بإصلاح نفسه تبديل رذائله الأخلاقية بالملكات المرضية .

فقد اتضح بهذا البيان أنه مهما كان للشاكلة الإنسانية من أرضية في نفس لكن الملكات الاكتسابية لها دور أساسي في ذلك . وببيان آخر الإنسان يبني شاكلته بنفسه وحينها تكون الشاكلة أساساً وأرضية للأعمال والتصرفات المستقبلية .

على هذا الأساس والملكات الاكتسابية يعبر عنها بصفة «الشاكلة الأولية» وفي طول هذه الشاكلة يوجد شاكلة ثانوية وبعض المراتب الأخرى . في هذه الأثناء النيات لها دور الشاكلة الثانوية التي لها علاقة مباشرة مع الأعمال ويترتب على هذه العلاقة أهمية عظمى ولهذا السبب جاء في كلام الإمام الصادق (ع) أن الشاكلة هي النية .

لأجل رعاية الاختصار ننهي البحث حول الشاكلة هنا ونذكر بأنه قد

ذكرنا زاوية من المطالب الراجعة إلى الشاكلة وأقسامها في مبحث النفس (حيث أن الشاكلة أيضاً من خصوصيات النفس) في ضمن البحث حول شرح الحديث الثاني عشر من الأربعين فيمكن للراغبين أن يرجعوا إليه هناك .

خاتمة هذا القسم من المقالة كلام حول شمول الآية الشريفة **﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾** بالنسبة للذات الإلهية وعدم شمولها .

بعض العلماء المعاصرين (دام ظله) استعمل مفاد هذه الآية الشريفة في مقام إثبات حسن فعل الله واستدل بهذا الشكل . إن الله تعالى كامل مطلق ولا يوجد أي نقص في ذاته إذاً فعله كامل وحسن . فمبنى كلامه أن مفاد الآية يشمل الله تعالى أيضاً . يعني كلٌ أعم من كونه الله أو الإنسان يعمل على شاكلته[1] .

لكن تعميم وتوسيع الآية بشكل يشمل حتى الله تعالى محل إشكال ولا يمكن قبوله .

الدليل الأول على عدم صحة هذه الاستفادة هو أنه لا يمكن تصور الشاكلة بالنسبة لله ، لأن الشاكلة عنوان يستنبط منه التركيب والاحتياج وهذا بشكل مطلق من خصوصيات المخلوقين . بناء على هذا فإنه لا يتلاءم مع أوصاف الله عز وجل .

الدليل الآخر على ذلك أن سياق الآية فيما يتعلق بالإنسان خصوصاً أن الآيات التي قبله تتكلم حول إعطاء النعم للإنسان وكفرانه بالنسبة للنعم الإلهية .

---

(١) أصل عبارته بهذا الشكل : بين سبحانه أن طبيعة الحمد وجنسه تختص به تعالى . . . إن حسن الفعل وكماله ينشأ من حسن الفاعل وكماله والله سبحانه هو الكامل المطلق الذي لا نقص فيه من جهة أبداً ففعله هو الفعل الكامل الذي لا نعص فيه أبداً . **﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾** (١٧ : ٨٤) وأما غيره فلا يخلو عن نقيصة ذاتية بل نقائص . . . البيان في تفسير القرآن ، تأليف آية الله العظمى الخوئي (قده) ص ٤٨٥ في تفسير سورة الحمد .

الدليل الثالث أنه في القرآن الكريم بما يتعلق بالله عز وجل كان يستعمل لفظ «فعل» لا «عمل» : **﴿إن الله يفعل ما يريد﴾**[1] و **﴿الله يفعل ما يشاء﴾**[2] و **﴿لكن الله يفعل ما يريد﴾**[3] .

والسبب في ذلك أيضاً أن العمل يحصل على أساس مبادىء النية ولذا يطلق على ما يتصرفه الإنسان «عمل» . بناء على هذا فالآية مختصة بأعمال الإنسان .

الدليل الرابع : الأئمة المعصومين (ع) استعملوا هذا القسم من الآية الشريفة في مورد الإنسان وأعماله واستشهدوا بهذا القسم من آية «الشاكلة» في بيان بعض المسائل مما هي محل استيلاء الإنسان . طبعاً لم يُرَ (أو على الأقل نحن لحد الآن لم نجد) أن هؤلاء العظماء ذكروا شيئاً من آية «الشاكلة» في ضمن مباحث صفات الله وأفعاله أو استشهدوا بها .

بعض الروايات التي ذكرت قبلاً شاهد على هذا الوجه والراغبون يستطيعون الرجوع إلى المباحث السابقة .

الدليل الخامس : إثبات حسن فعل الله مع صرف النظر عن البراهين العقلية ليس منحصراً بالاستفادة من هذه الآية الشريفة . ففي هذا الخصوص يمكن الاستشهاد بآيات أخرى التي فيها تصريح وتلويح بهذا الموضوع ومشابهة .

ففي سورة الأعلى الآيات ٢ و٣ تقول :

﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى﴾ .

وكذلك سورة الملك آية ٣ تقول :

﴿ما ترى في خلق الرحمٰن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور﴾ .

---

(١) سورة الحج ، آية : ١٤ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ٤٠ .

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٥٣ .

وكذلك في سورة النمل الآية ٨٨ تقول :

﴿. . . صنع الله الذي اتقن كل شيء﴾ .

وآيات أخرى .

طبعاً هذه المجموعة من الآيات والروايات فيها أيضاً إشارة إلى الدليل العقلي للمسألة إذ من المعلوم أن الله الذي هو الأعلى واللامتناهي فعله أيضاً كامل وحسن ولو لم يكن كذلك للزم أن يكون جاهلاً أو عاجزاً والجهل والعجز أيضاً من النقص والمحدودية والله تبارك وتعالى منزه ومبرأ من النقص والمحدودية ، النقص والمحدودية لا ينسجم مع وجوب الوجود والقيام بالذات الذي هو لله وهما لله الأعلى والعلي والمطلق .

مع بيان هذا المطلب يصل كلامنا حول شرح الحديث العشرين من الأربعين إلى نهايته . نسأل الله أن يرزقنا الاتصاف بالكمالات ومكارم الأخلاق المذكورة في هذا الحديث وشرحه .

والحمد لله رب العالمين



الفهرس